مسجد سدوس

دراسة أثرية معمارية

دراسة حالة (*)

دكتور

محمد عبد الستار عثمان (**)

سدوس أحدى بلاد نجد وتقع على بعد حوالى ٧٠ كم شمال غرب مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية (١) ومازالت تحتفظ البلدة القديمة بمسجدها الذى مازال عامرا بالصلاة حتى الآن (٢) رغم أنشاء مسجد حديث منذ سنوات قلائل وينتمى مسجد سدوس بهيئته المعمارية الحالية إلى نمط المساجد التقليدية ذات الخلوة الذى تتميز به عمارة المساجد بالمنطقة والذى شاع فى الفترات من القرنين ١٣ - ١٤ هـ لكن الدراسة المعمارية لهذا المسجد تكشف عن أنه مر بمراحل معمارية متعاقبة إنتهت إلى هذه الهيئة .

ويخلو المسجد من أى نص تأسيسى يحدد تاريخ إنشائه ولا توجد به من النصوص الكتابية سوى ما نقش فى واجهة محراب رواق القبلة من نص شهادة التوحيد والرسالة المحمدية بخط نسخ غير حسن نقش فى وقت متأخر نسبيا ضمن ما حدث من ترميمات للكسوة الجصية التى تكسو هذا المحراب ومن ثم فإن هذا النص يفتقد لأى أهمية تساعد على تأريخ المسجد ، أما بقية العناصر التخطيطية والإنشائية الأخرى فإنها تتفق ومثيلتها التى سادت فى عمارة مساجد المنطقة فى القرن ١٣ - ١٤ هـ وهو تاريخ إذا ما قورن بتاريخ

(**) أستاذ مساعد الآثار الإسلامية - كلية الآداب بسوهاج - جامعة أسيوط .

(*) يشكر الباحث مركز البحوث بكلية الآداب / جامعة الملك سعود الذى مول مشروع الباحث « دراسة العمارة التقليدية بسدوس » بعد موافقة قسم الآثار والمتاحف بالجامعة المذكورة على هذه الدراسة ويأتى هذا البحث ضمن إطار هذا المشروع ، كما يشكر الباحث المهندس كرستوف هنكه على أهدائه له مجموعة من الرسومات التى رفعها لمبانى سدوس ومن بينها المسجد والتى أعتمد عليها الباحث لدقتها .

(١) أنظر الشكل رقم ١

(٢) أنظر الشكل رقم ٢

عمارة سدوس يبدو متأخرا نسبيا . ومن ثم فإن دراسة تاريخ هذا المسجد تأتى بعد أن نعرض لدراسة المسجد من الناحية المعمارية دراسة مفصلة تساعد على تأريخ عمارته بصورة ترجيحية . ومن ثم فإن الباحث يعرض فى البداية لدراسة المسجد من الناحية المعمارية دراسة تعرض لموقعه ثم تعرض لوصفه وتحليله أثريا ومعماريا ، ثم ينتهى لمحاولة تأريخه فى ضوء هذه الدراسة وفى ضوء ما توفر من معلومات عن تاريخ عمران البلدة .

موقع المسجد :

يقع المسجد فى الجهة الجنوبية الشرقية من سدوس ، على يمين الداخل من « الدروازه » ، المدخل الرئيس للبلدة [١] ، ملاصقا للسور الجنوبى ، وغالبا ما كان يختار للمسجد فى المستوطن الإسلامى موقعا متوسطا بين تكويناته المعمارية . وانطلق هذا الأختيار من إعتبار أن يكون المسجد الجامع قريبا من كل موضع فى المستوطن . وموضع مسجد سدوس فى أقصى الطرف الجنوبى لسدوس وعدم توسطه تكويناتها المعمارية عد لهذا السبب ظاهرة ملفتة للأنتباه تستحق محاولة البحث عن تفسير لها سيما وأنها تكررت فى بعض البلاد الأخرى فى منطقة نجد كأثيثة والعقدة بالقويعية وغيرها .

ويمكن أن يكون أختيار موضع المسجد فى بعض مستوطنات نجد فى أحد أطرافها مرتبطا بطبيعة حياة المجتمع فى هذه البلاد تلك الطبيعة التى تجعل النشاط اليومى الإسلامى محصورا بين الدار والمسجد والمزارع التى تقع - غالبا - خارج أسوار المستوطن . « ووفقا للنظام الإسلامى فإن المسلم يصلى خمس مرات فى أوقات محددة ، وبعد صلاة الفجر فى الصباح الباكر يذهب الرجال للعمل فى المزارع خارج الأسوار ، وعند الظهر يذهبون إلى المسجد لأداء صلاة الظهر ، ثم يعودون إلى دورهم لتناول الغداء والراحة ، ثم يستأنفون العمل من العصر وحتى المغرب حيث يعودون لصلاة المغرب وتناول وجبة العشاء ، ثم يصلون العشاء قبل الذهاب إلى النوم . وقد توافق وقوع المسجد على تخوم المستوطن مع هذا النشاط حيث أن موضع المسجد بهذه الصورة يخدم بسهولة كل من فى المزارع أو الدور على حد سواء » [٢] .

---

(١) أنظر الشكل رقم ٢

(٢) Adel Ahmet Kilical : An Evolution on traditional architecture in Riyadh, Case Study, Al Diraiyah, King Saud University, College of Engineering, 1404 A. H., P. g.

كما أن المجتمع فى مستوطنات نجد ينقسم غالبا إلى قسمين : أحدهما يجوب البادية يتنقل فى أرجائها للرعى ، وهذا القسم هو ما يطلق عليه « البادية » وقسم أخر يستقر أستقرارا دائما فى هذه المستوطنات ، ويمارس نشاطات أخرى كالزراعة وغيرها من النشاطات المرتبطة بالأستقرار . ولما كانت المساجد بيوت الله ، ولا يمنع مسلم من دخولها فإن أختيار موضع لها فى طرف المستوطن كان من شأنه تسهيل أرتفاق من هم من خارج المستوطن من أهل البادية وغيرهم من الغرباء ، دون الولوج إلى داخل المستوطن ، وفى هذا ما يحقق الخصوصية ، وفيه أيضا ما يؤمن تأمينا واقعيا من أى شرور قد تنتج عن معرفة أهل البادية لسكك ودور المستوطن وأسواره ، تلك المعرفة التى قد تكون عونا لهم فى أى وقت يفكرون فيه بالأغارة على المستوطن ، وهو ما كان يحدث كثيرا سيما فى فترات الفتن والقلاقل (١) .

وفى الوقت ذاته كان لصغر حجم عمران المستوطن أثره المباشر فى عدم الحاجة إلى أختيار موضع متوسط فيه للمسجد ، وأكدت هذا الأتجاه محدودية أزدياد عمران المستوطن لأرتباطها بمصادر المياه التى لم تسمح فى الغالب – بأطراد عمران المستوطن كما هو الحال فى المستوطنات الأخرى التى تتوافر لها كميات كبيرة من الماء تساعد على أمتداد عمرانى كبير فى المستقبل كمدن الإسلام الكبرى بغداد والقاهرة وفارس وغيرها .

وإذا نظرنا إلى عمران سدوس – بإعتبار أن مسجدها موضع الدراسة – فإن نتائج دراسة تاريخ عمرانها أوضحت أن عمرانها بدأ بحصن تبلغ مساحتة ٤٣٣٠ متر٢ تقريبا حيث بلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ٨٢ مترا وعرضة من الشرق إلى الغرب حوالى ٦٥ مترا (٢) . لا تضح أن بعد هذا المسجد عن أقصى باب دار فى داخل هذا الحصن حوالى ٥١ مترا .

ومما سبق تتضح أسباب أختيار موضع المسجد على تخوم سدوس من الجهة الجنوبية . وتكرار هذا الأختيار فى بلاد نجد الأخرى التى لها نفس الظروف .

---

(١) أمين الريحانى : تاريخ نجد الحديث ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠ م ، مجلد ٥ ، ص ٦٢

(٢) عرض الباحث لمراحل التطور العمرانى لسدوس فى بحث (سدوس وتحصيناتها الدفاعية) والبحث تحت النشر .

مواد إنشاء المسجد :

أستخدم فى إنشاء مسجد سدوس الطين واللبن والحجر والجص وخشب الأثل وهى من المواد البيئية المتوفرة ، ويحسن أن نعرض لكل مادة من هذه المواد بشىء من التفصيل لأتصال ذلك بأسلوب ومتانة أنشاء المسجد من جهة وبمعرفة أهل البلدة لمواد وأساليب البناء .

أ - الطين والطوب اللبن

أشتهر أهل منطقة نجد شهرة واسعة بإجادة البناء بالطين أو الطوب اللبن منذ زمن بعديد ولا أدل على ذلك مما ورد فى شعر الأشعى بقوله :

فأضحت كبنيان التهامى شاده

بطين وجيار وكلس وقرمد [١]

وشهد الرسول صلى الله عليه وسلم ببراعة طلق بن على الحنفى - نسبة لبنى حنيفة - فى تجهيز الطين للبناء حيث قال طلق : « جئت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبنون المسجد قال : فكأنه لم يعجبه عملهم ، قال : فأخذت المساحة فخلطت بها الطين فكأنه أعجبه أخذى المساحة وعملى فقال : دعوا الحنفى والطين فإنه من أصنعكم للطين » [٢] .

وتشير المصادر التاريخية والجغرافية إلى شيوع أستعمال أهل اليمامة للطين فى بناء المنشآت المختلفة [٣]

وأستخدم الطين فى أنشاء مسجد سدوس على صور مختلفة فقد أستخدم الطين مباشرة فى البناء بطريقة العرق ، كما ضرب الطوب اللبن فى قوالب ثم جفف ثم أستخدم فى البناء ، وفى وقت متأخر استخدم الطوب المضروب باليد بدون القالب فى سد بعض

---

(١) الأعشى (أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل - ت ٧ هـ) : ديوان الأعشى ، تحقيق : محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ٢٣٩

(٢) السمهودى (نور الدين على بن أحمد - ت ٩١١ هـ) : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، د . م . د . ت ، جـ ٥ ، ص ٢٥٢ ، جـ ١ ، ص ٣٣٤

(٣) الحربى : ص ٦١٦ ، الهمدانى : ص ٢٨٤ ، ٢٩٣ ، ٣٠٤ - ٣٠٥ ، ياقوت : جـ ١ ، ص ١٩٤ ، البكرى : جـ ١ ، ص ٣٣٣

الفتحات . كما أستخدم الطين فى لياسة الجدران أو تلييسها بطبقة من الملاط الطينى بالإضافة إلى استخدامة كمونة فى البناء بالطوب اللبن المجفف أو الحجر أو الطوب المضروب بدون أستخدام القالب .

والطين المستخدم فى البناء بطريقة [١] العرق يجهز بنفس الطريقة التى يجهز بها الطين المستخدم فى صناعة الطوب اللبن . كما أن له نفس المواصفات واستخدم غالبا فى بناء الأسوار والأبراج وأساسات بعض الدور [٢] ، ويعد بطريقة جيدة الخلط .

الطوب اللبن

وهو الطوب النيىء Mud Brick, Unfired-Brick, Adobe, Brick وتتم صناعتة بتجهيز الطينة التى يصنع منها عن طريق خلط التراب بنسبة معينة من المواد العضوية وقد يضاف إليه التبن أو القش مع الماء ، ثم تقلب الخلطة جيدا تقليبا جيدا وتترك عدة أيام حتى تختمر العجينة ثم تقلب تقليبا جيدا لضمان الخلط الجيد ، ثم تنقل إلى ساحة فضاء مستوية لتصب فى قوالب خشبية بمقاييس معينة . وهذه العملية تسمى « ضرب الطوب » ثم ترفع القوالب ، ويترك الطوب لمدة شهر إلى أن يجف ، وحتى يجف تماما من جميع جهاته يقلب فى أثناء هذه المدة .

وتتوقف جودة الطوب على مكونات التربة التى صنع منها ونسبها المئوية من الطين والطمى (الغرين) والرمل ودرجة قلويتها ، كما يتوقف على كمية المياه المخلوطة ، ولمسام التربة وتوزيع هذه المسام أثره على جودة اللبن كما أن لذلك أيضا علاقته بإمتصاص الرطوبة ونحتها [٣] .

والتربة التى صنع منها الطوب اللبن المستخدم فى منشآت سدوس عبارة عن الترسيبات الطموية فى الوادى – كما أشرنا – والتى ترتفع بها نسبة المواد الكلسية التى تساعد على متانته إذا ما قورن بالطوب اللبن فى مناطق أخرى .

---

(١) وقد أشار ابن سيده إلى أن أساسات الدور التى تبنى من الطين يطلق عليها « رهص » حيث ذكر أن العرق الأسفل فى بناء الدور يسمى «رهص» ، إبن سيده (ابى الحسن على بن إسماعيل – ت ٤٥٨ هـ): المخصص ، دار الفكر ، د . ت . ، مجلد ١ سفر ٥ ، ص ١٢٥

(٢)

(٣) L. E. Wolfshill et al, Handbook for Buildintg Homes of Earth, Texas : Texas Transportation Institute, College Station, Bulleting No. 27 , E 14 - 23 , p. 47 & Kilical : p. 65

ويساعد خلط الطين بالقش على زيادة تماسك الطين أثناء صناعتة فى هيئة قوالب قبل أن يجف ، كما أنه يساعد على عدم تشقق الطوب بعد جفافه ، ويؤدى ذلك بدوره إلى زيادة متانة الطوب ، كما أن هذه النسبة من القش فى الطوب تساعد على تقليل نسبة أمتصاصة للماء .

« والمواصفات الميكانيكية للطوب اللبن ضعيفة حيث أن نسبة تحمله للضغط تتراوح ما بين ١,٤ – ٤,٨ MN/m^2 [١] ونسبة تحمله لقوة الشد تتراوح ما بين ٠,٣٤ – ٠,٩٠ MN/M^2 ويتوقف ذلك على تكوين التربة وكمية خلط الماء والعوامل الأخرى التى تؤثر فى متانته » [٢] .

وتؤثر هذه المواصفات فى المبانى المبنية بالطوب اللبن حيث يحد ضعف قوة التحمل والشد من الأرتفاع بالحوائط الحاملة وأمتدادها أمتدادا كبيرا ، وهو ما ينطبق على مبانى سدوس – وهذا الضعف – سيما فى قوة التحمل – أدى فى بعض الأحيان إلى بناء المدماك الأخير فى الحوائط الحاملة من الحجر ليتحمل توزيع الأحمال على الحائط بشكل منظم [٣] .

وخاصية نقل الحرارة فى مواد البناء من أهم الخواص التى تتحكم فى تفضيل مادة عن أخرى فى البناء . وذلك لدورها فى تهيئة الظروف البيئية الداخلية المناسبة وعزلها عن الخارج وتقليل استخدام الطاقة . والتغير فى درجة الحرارة خلال اليوم الواحد فى خارج المبنى ينعكس داخله ولكن درجة التفاوت أو التغير فى الداخل تكون أقل منها فى الخارج . كما أن بداية التأثر أو الاستجابة فى داخل المبنى ليست آنية للتغير الخارجى وإنما تتأخر عنه . وهذان الفرقان فى عدم تطابق التغير الداخلى فى درجة الحرارة مع التغير الخارجى يعودان إلى سببين : الأول قدرة المادة الفاصلة بين الوسطين على التوصيل الحرارى

---

(١) حرف M يرمز لكلمة ميجا ، وحرف N يرمز لكلمة نيوتن وهى وحدات قياس الضغط وبحساب هذه القوة بالكيلو جرام يتضح أن السم ٢ يتحمل ضغط حوالى ١٤,٢٨٦ / سم ٢ – ٩٨٠ر كجم / سم ٢

(٢) Kilical : p. 66

(٣) واستخدم هذا الأسلوب فى مدينة الدرعية Kilical : p. 77

(العزل الحرارى) والتى يمكن تقديرها نسبيا بمعامل التوصيل الحرارى - Thermal capacity وهذه خاصة فى جزئيات المادة ومكوناتها وتركيبها الطبيعى ، كما تعتمد هذه الخاصية على نسبة الهواء (وهو مادة عازلة) فى نسيج المادة وكلما زادت نسبة حجم الهواء (قلت كثافة المادة) كلما انخفضت قدرة المادة على التوصيل الحرارى وبالتالى زادت قدرتها على العزل الحرارى والعكس صحيح ، أما السبب الثانى فهو السعة الحرارية Thermal - capacity لمادة الحائط أو السقف . والسعة الحرارية تصف الحد الأقصى لامتصاص وأختزان الحرارة والأحتفاظ بها وتعتمد هذه القدرة على كثافة المادة وعلى حرارتها النوعية حيث تساوى حاصل ضرب الكميتين ، وكلما زادت هذه القيمة زادت قدرة الأحتفاظ بالحرارة ومن ثم الأبطاء فى أنفاذ الحرارة وبالتالى التأخير فى مواكبة التغير الحاصل فى درجة الحرارة خارج المبنى وهذا ما يعرف بزمن الأبطاء Lag - time والمادة بهذه الخاصية تختزن درجة الحرارة القادمة من الخارج إلى حد معين قبل أن تبدأ فى أنفاذها للداخل . وعندما تنخفض درجة الحرارة فى الخارج فإن المادة تطلق الحرارة بالأتجاه المعاكس إلى الخارج أيضا وبهذه العملية فإن الفروق فى درجة الحرارة تكون أقل وتتأخر عن مواكبة التغير فى الخارج [١] .

وبدراسة خاصية التوصيل الحرارى للبن أتضح أنه يبلغ ما يعادل أربع مرات التوصيل الحرارى للجص ومرتين للخرسانة المسلحة العادية ، ومن ثم فإن تحقيق خاصية العزل الحرارى فى المبانى المبنية باللبن كانت بزيادة سمك الجدران وكان فى زيادة سمك حوائط المسجد ما يساعد على متانته من الناحية الإنشائية ، ونتج عن ذلك أن أصبحت السعة الحرارية لهذه الحوائط عالية إضافة إلى إنخفاض معامل التوصيل الحرارى للبن مما أدى إلى قدرة عالية متفوقة فى العزل الحرارى له [٢] ومن المميزات الأخرى للطوب اللبن مقاومته للطفيليات وتحقيقة للعزل الصوتى وكذلك مقاومته للنار [٣]

---

(١) د . عبد العزيز العوهلى : الخواص الحرارية للطوب النيىء ، مجلة البناء ، السنة الثامنة ، العدد ٤٤ ربيع الأول – ربيع الثانى سنة ١٤٠٩ هـ / نوفمبر – ديسمبر سنة ١٩٨٨م ، توزيع مكتبة الخازندار ، الرياض ، ص ١٨

(٢) العوهلى : ص ١٨

(٣) Marica Southurick : Building with adobe. Sage Book , 1965 , p. 66

أولا : الحجر :

أستخدم فى إنشاء المسجد وطى البئر الملحق به نوع من الحجر الجيرى يتميز بصلابته ودقة مساميه ، وللحجر الجيرى مميزاته الإنشائية التى تتمثل فى قوة تحمله لقوى الضغط والشد ، كما أنه له مواصفاته الأخرى المشجعة على أستخدامه فى البناء أكثر من غيره من أنواع الأحجار الأخرى فبالإضافة إلى سهولة قطعه وتشكيله وبنائه له مميزاته الأخرى فى مجال التوصيل الحرارى والعزل الصوتى .

ويتوفر الحجر الجيرى فى المنطقة وقد توافر أهالى البلدة على قطعة ونحته واستخدامه فى البناء منذ زمن بعيد يرجع إلى ما قبل العصر الإسلامى ولا أدل على ذلك من تلك الرواية التاريخية التى تحدثت عن وصف معبد البلدة القديم الذى قيل أن سليمان بن داود بناه من حجر واحد من أوله إلى أخره [١] كما تشير إلى ذلك الأدلة الأثرية ممثلة فى ذلك النصب الذى وصفه بلى والذى هدم فى وقت متأخر حيث يذكر « أن عمود مبنى من حجر أسطوانى الشكل ويبلغ قطره ثلاثة أقدام وقد سقط الجزء العلوى منه ، ولم يتبق سوى جزء من العمود يبلغ أرتفاعه عشرين قدما ويقوم هذا العمود على قاعدة مكعبة الشكل مربعة المسقط دار حجم كبير » [٢] .

وتدلل على ذلك أيضا تلك الأحجار التى نقلت من المبانى القديمة فى منطقة المنارة ليعاد استخدامها فى أساسات دار آل معمر (الدار رقم ٧٦) [٣]

وقد استخدم الحجر فى إنشاء الأعمدة والعقود بالإضافة إلى أساسات المبانى فى منطقة نجد بصفة عامة ، ونظرا لشيوع هذا الأستخدام فقد توارث الحجارون حرفة قطع الأحجار ونحتها وإعدادها للبناء . ومن أشهر حجارى سدوس الذين تولوا هذه الحرفة ناصر بن مسيعيد الذى برع فى هذا المجال [٤]

(١) الحربى (إبراهيم بن إسحق بن بشر بن عبد الله) : المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٩٦٩ م ، ص ٦١ . ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله) : معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٨٤ م ، جـ ٤ ، ص ٣٤٠

(٢) Lewis Pelly : Report on Journy to Wahabee capital in Riyadh in central Arabia (1865) , Pombay , printed for government at Byulls Educational Society Press, 1960 , pp 39 - 40

(٣) انظر شكل رقم ٢

(٤) رواية شفهية للشيخ سعدبن ناصر الحجيجى أحد الرواة الثقاة من بلدة سدوس والذى يبلغ من العمر حوالى سبعين عاما (مقابلة فى ١٤٠٨/٨/٦ هـ) .

وتخصص الحجارون بقلع الحجر فى مقالعة من الجبال مستخدمين « العرزة ، وهى أداة قلع الحجر » ، وكذلك « الحديدة » وهى أداة تستخدم فى أخراج الحجر ، وبعد قلع الحجر يتم تشكيله بواسطة « مقرعة الحصى » فى أنواع حسب مواضع أستخدامة فى البناء وهذه الأنواع هى « حصى المواجبة » الذى يستخدم فى بناء أساسات المنشآت ويبلغ طوله ذراع (حوالى ٥٠ سم) وشبر حوالى (٢٢ سم) و « حصى المذيل » الذى يستخدم فى طى الآبار و « حصى القرون » لتسقيف البيارات وطوله حوالى ٢ متر وعرضه ٢٢ سم ويستخدم هذا النوع فى تسقيف البيارات ، « وحصى الخرز » يشكل فى هيئة أسطوانية لبناء الأعمدة ويختلف القطر حسب الحاجة لكنه فى المتوسط يبلغ حوالى ٢٥ سم ، و « حصى القنايع » وهو الكتل التى تشكل فى هيئة مكعبة أو هيئة متوازى مستطيلات وتركب فوق بدن العمولة على هيئة تاج ، و «حصى الكمرات » التى يستخدم فى بناء العقود المثلثة التى شاعت فى المساجد وغيرها من المنشآت وهو عبارة عن كتل يبلغ طولها ثلاثة أذرع (حوالى ١,٥ متر) وعرضها ذراع حوالى (٥٠) [١] . وقد ساعد طول هذه الكتل الحجرية وسمكها على متانتها وعلى أنشاء العقد من كتلتين ترتكزكل منهما على «القنايع » التى تمثل تاج العمود وتتقابلان فى قمة العقد فينتج عن ذلك شكل العقد المثلث البسيط المكون من هاتين الكتلتين وهو أبسط أنواع العقود المستخدمة فى العمارة الإسلامية ولا يتطلب أنشاؤه مهارة وخبرة بنائية متقدمة كما هو الحال فى بقية أنواع العقود الأخرى .

وفى إطار ما ذكر عن قطع الحجر المستخدم فى بناء الأعمدة والعقود يتضح أن المقاييس التى قطع بها الحجار القطع الحجرى المستخدمة فى بنائها والتى كانت شبه قياسية لدى الحجارين يمكن تفسير القطر القياسى للأعمدة والتى يبلغ ٢٥ سم ، ويتضح أيضا تشابه العقود المثلثة والتى أرتبط أتساع فتحاتها وأرتفاعها بطول الكمرات المستخدمة فى بنائها والتى قطعت أيضا بقياس قياسى .

الجص

أستخدم الجص فى تكسية بعض جدران المسجد بالإضافة إلى الأعمدة والعقود سواء فى الخلوة أو فى رواق القبلة .

---

(١) أحمد بن مساعد الوشمى : الرياض مدينة وسكانا – كيف كانت وكيف عاشوا ، مطابع الحرس الوطنى ، د .ت . ، ص ٤٧

وقد جهز الجص محليا عن طريق حرق الحجر الجيرى ، وكان بسدوس مختصون فى هذه الحرفة ، حيث يقومون بحرق الحجر الجيرى وتجهيزه للأستخدام فى غرض التكسية المشار إليه ، كما كان هناك من أختص بحفر الزخارف ، وغالبا ما أستخدم أسلوب الحفر فى تنفيذها باستخدام آلة حادة تشبه السكين [١] .

والجص من وجهة النظر التحليلية العلمية « هو ناتج الفصل الجزئى للماء على الحجر الجيرى ، وتحويله إلى شكل مفكك الجزئيات « بودرة » وذلك عن طريق الحرارة التى تصل إلى ١٩٠ درجة مئوية (٣٤٠ درجة فهرنهايت) والجص ينتج عن طريق حرق الحجر الجيرى النقى ولا تتم إضافة أى مواد أخرى إليه قبل أو بعد التسخين [٢] ، ومع ندرة الخشب فإن أستخدام الجص كان محدودا – كما أشرنا .

وكان يتم حرق الحجر الجيرى وتحويله إلى جص فى « مجاص » مبنية على هيئة قبة ولها فتحات صغيرة على شكل تنور بحيث توقد النار فى داخل القبة بواسطة جذوع النخل ويخرج اللهب من الخروق على الحجر ، وبعد حرقه بالنار يحمل بعد ذلك إلى مكان آخر يسمى « القاع » وهو مليص « مجصص » بالجص المطبوخ أيضا ثم يدق بمداق من خشب الأثل حتى ينعم ثم ينخل بعد ذلك » [٣] .

وهناك من يحرق الحجر الجيرى لتحويله إلى جص دون استخدام « المجاص » وذلك بوضع الحجر الجيرى بين طبقات من الخشب ثم تشعل النار ، وبعد أن يتم الحرق يدق ثم ينخل ولكن هذه الطريقة تنتج جصا أقل جودة ويميل إلى اللون الرمادى .

ويشير داوتى Daughty [٤] ، إلى أن الحرفيين الذين أستخدموا فى حرق الحجر لتجهيز الجص ، وفى تمليط الجدران فى منطقة نجد كانوا غالبا من فئات إجتماعية متواضعة سيما وأن القبائل عريقة النسب كانت تنظر إلى هذه الحرفة نظرة مرتبطة بالوضاعة والتحقير وربما كان لذلك أثره فى محدودية أنتشار هذه الحرفة وأرتقائها

---

(١) أستمرت هذه الحرفة إلى عهد قريب فى بلدة سدوس حيث يشير الشيخ سعد بن ناصر الحجيجى إلى معاصرتة لبعض من تخصصوا فى حرق الجير لإعداده جبسا ومن تخصصوا أيضا فى حفر الزخارف .

(٢) الوشمى : ٣٤

(٣) الوشمى : ص ٣٤

(٤) C. M. Daughty : Travels in Arabia Deserta, London, 1923, 11 , 347

وتطورها بنفس المستوى الذى كانت عليه فى مناطق الجزيرة الأخرى التى عمل أهلها فى هذه الحرفة لحاجتهم كبعض القبائل البحرينية [١] . أو التى نظرت بالتقدير والاحترام إلى نقل هذه الحرف كما فى اليمن سيما صنعاء [٢]

شجر الأثل

يعتبر شجر الأثل من أهم الأشجار التى تنمو فى المنطقة [٣] ، والتى أعتمد عليها فى توفير الأخشاب اللازمة للبناء ، حيث أستخدمت فى التسقيف وفى صنع الأبواب والنوافذ والميازيب الخشبية وغيرها .

وتتميز هذه الأشجار بجذوعها التى يغلب عليها الأستقامة ، كما أنها تتميز بنوع من المتانة والقومة التى ناسبت أستدخامها فى الإنشاء ، ومن ثم جهزت من جذوعها العروق الخشبية التى أستخدمت فى الأسقف وفى بناء السلالم وفى الأعتاب وكذلك صنعت منها الميازيب الخشبية حيث أنها أفضل وأكثر مناسبة لذلك إذا ما قرونت بجذوع النخيل . وبالرغم من أستخدامها الشائع إلا أن هذا الأستخدام كان فى المواضع التى تتطلبها الضرورة الإنشائية ويرجع ذلك للصعوبات التى تواجه نموها . ويدل على ذلك ما نراه فى الأبواب حيث يستخدم الأثل فى الأطر التى تشكل هيكل الباب أما الحشو فيستخدم فيه خشب النخيل . وقد توافر النجارون المحليون الذين قاموا بنجر هذه الأخشاب [٤] . وصنع الأبواب والنوافذ والأدوات الخشبية الأخرى ، كذلك توفر الحدادون الذين يقومون أيضا بتصنيع المسامير الحدادى وغيرها من الأدوات التى أستخدمت فى النجارة وغيرها .

وبالإضافة إلى جذوع الأثل إستخدم الجريد والخوص فى طبقات سقف المسجد حيث شكل النخيل وجريدة وخوصة مادة شائعة فى العمارة بصفة عامة لتوفرة أكثر .

الوصف المعمارى للمسجد

يشغل المسجد مساحة من الأرض تبلغ ٣٠١ متر٢ [١] تقريبا ، ويشير وضع وشكل هذه المساحة وكذلك إنشاءات المسجد إلى أنه مر بمراحل معمارية متتابعة تكشف عن

---

(١) Kilical : p. 126

(٢) R. B. Serjeant : In City of San'a , ed . Kirman, London, 1976, p. 16 - 17

(٣) مازالت أشجار الأثل من أهم الأشجار التى تنمو فى المناطق المحيطة بالبلدة ومنطقة نجد بصفة عامة .

(٤) ذكر لنا الشيخ سعد بن ناصر الحجيجى أسماء بعض النجارين الذين توارثوا حرفة النجارة بسدوس ومنهم عبد الله الجنوبى ، ورشيد الجحيفى الذى عمل نجارا وحدادا فى ذات الوقت .

(٥) أنظر شكل رقم (٣) .

حدوث توسعة وإضافات معمارية فى مراحل متتابعة أرتبطت - فيما بعد - بالنمو العمرانى الذى طرأ على البلدة سيما وأنه لم ينشأ فى البلدة مسجد أخر معاصر لتلك الأمتدادات العمرانية . وقد بنى المسجد بالطوب اللبن على أساس من الحجر واستخدم خشب الأثل فى تسقيفة .

تخطيط المسجد

يتبع هذا المسجد فى تخطيطه النمط المعمارى لمساجد نجد ذات « الخلوة » [١] ويشتمل هذا المسجد على « خلوة » تمثل الدور الأرضى ، بالإضافة إلى رواق للصلاة وصحن يتقدمة فى الطابق العلوى ثم سطح الرواق المعد للصلاة أيضا .

الخلوة

الدور الأرضى للمسجد والذى يطلق عليه محليا مصطلح « الخلوة » يستخدم للصلاة عادة فى فصل الشتاء إتقاء للبرد القارس ، ويلاحظ أن الخلوة فى مسجد سدوس فى مستوى أرض البلدة تقريبا ، ولم تحفر فى تخوم الأرض كما هو الحال فى بعض مساجد بلاد نجد الأخرى من النمط ذاته . وربما يرجع ذلك إلى قرب مستوى المياه الجوفية فى منطقة سدوس .

ويتوصل إلى المسجد من خارج أسوار البلدة من باب رئيس للمسجد يقع فى السور الجنوبى للبلدة ، والذى التصق به بناء المسجد فشكل الحائط الجنوبى للقطاع الغربى من المسجد فى نفس الوقت[٢]، ويبلغ أتساع فتحة هذا الباب ٠,٩٠ مترا وأرتفاعها ١,٩٠ مترا [٣]

---

(١) G. R. King : The Historical Mosques, Saudi Arabia, Longman, London, New York, 1986 , p. 146 &

وكذلك أتبع نمط المساجد ذات الخلوة فى بعض المساجد فى المنطقة الشرقية وغالب هذه المساجد خاص بالشيعة .

(٢) G. R. King : The Historical Mosques, Saudi Arabia, Longman, London, New York , 1986 , p. 146

ومن فحص أرتباط المسجد بالسور فى القطاع الغربى ، وبملاحظة وضع الأعمدة فى الطرف الجنوبى من هذا القطاع ، وبمقارنة طول جدار القبلة شمال حنية المحراب بطوله جنوب الحنية يتضح أن هذا القطاع قد حدث به تعديل معمارى أدى إلى التصاق المسجد بالسور الجنوبى فى هذا القطاع .

(٣) أنظر الشكل ٦ / د .

ولها مصراع من الخشب ، ويقابل الداخل من هذا الباب درج صاعد إلى الطابق العلوى ، وعلى يسار الداخل فتحة باب يبلغ أتساعها ٠,٨٠ مترا وأرتفاعها ١,٦ مترا تؤدى إلى البلاطة الثالثة من بلاطات الخلوة وبالجدار الشمالى للمسجد بابان أخران متشابهان جملة وتفصيلا ، حيث يبلغ أتساع فتحة كل منهما ١,٦٠ مترا ويبلغ أرتفاع فتحة كل منهما ١,٩٠ مترا . ولكل منهما مصراع من الخشب ، ويفتح الباب الغربى منهما على البلاطة الثالثة من بلاطات الخلوة ، أما الباب الثانى فكان يفتح على كل من البلاطتين الخامسة والسادسة (من الغرب إلى الشرق) لكن حدث أن أضيف فى وقت لاحق بناء جدار فى مواجهة هذه الفتحة على بعد ١,٨ مترا يوازى الجدار الشمالى للمسجد وينعطف فى زاوية قائمة فى طرفة الشرقى تاركا فتحة صغيرة بينه وبين الجدار الشمالى يبلغ أتساعها ٠,٧٠ مترا بإجتيازها يصل الداخل من هذا الباب إلى البلاطة السادسة والأخيرة دون البلاطة الخامسة بسبب بناء هذا الجدار المذكور والذى بنى فى فترة لاحقة بدلالة قربة من الأعمدة الثلاثة الشمالية من صفوف أعمدة البلاطات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة حيث أن المنطق الأنشائى يفترض أنه إذا كان المخطط قد وضع فى إعتباره بناء هذا الجدار عند إنشاء القطاع الشرقى من الخلوة لا ستغنى عن هذه الأعمدة حيث أن إنشاء هذا الجدار كان يغنيه عن إنشاء هذه الأعمدة .

وبالإضافة إلى هذه الأبواب التى سبق وصفها والتى مازالت تستخدم فى التوصل إلى الخلوة ، توجد أبواب أخرى ، سدت بالبناء . ووصف هذه الأبواب من الأهمية بمكان للكشف عن المراحل المتتابعة لعمارة المسجد .

أولاً : يوجد بالقطاع الجنوبى لجدار القبلة جنوب المحراب ثلاث فتحات سدت حاليا بالبناء [1] . فعلى بعد ٣,٥ متر من حنية المحراب توجد فتحة باب يبلغ أتساعها ٠,٨٥ مترا وأرتفاعها ١,٨٠ مترا . وكانت هذه الفتحة لتصل من برحبة الدروازة بالخلوة مباشرة . وإلى يمين الداخل منها إلى الخلوة يوجد السلم الخارجى الملتصق بجدار القبلة من الخارج والذى يؤدى إلى الطابق العلوى من المسجد . ووجود هذا الباب والسلم المذكور يعنى بوضوح أن التوصل إلى المسجد فى المرحلة المبكرة من إنشائه كان عن طريق هذا الباب ، ولكنه سدفى مرحلة متأخرة وأصبح التوصل من خلال باب مستقل فتح فى السور الجنوبى بعدما أمتد بناء المسجد ليلتصق به – كما أشرنا – .

---

(١) أنظر الشكل ٦ / ب .

وعلى بعد ٣,٥ متر أيضا من فتحة الباب هذه توجد فتحة أخرى يبلغ أتساعها ٠,٦٥ مترا وأرتفاعها ٠,٦٥ مترا سدت أيضا بالبناء يليها وعلى بعد ٠,٤٠ مترا فتحة ثالثة سدت أيضا بالبناء ويبلغ اتساعها ٥٠ سم وأرتفاعها حوالى متر . ويبدو من قياس هاتين الفتحتين انهما كانتا تؤديان إلى بيت درج أسفل السلم الخارجى الملتصق بجدار القبلة من الخارج .

ويوجد بالقطاع الشرقى من الجدار الجنوبى فتحتا بابين ، سدتا أيضا بالبناء يبلغ أتساع كل منهما ٠,٧٠ مترا بينما يبلغ أرتفاع الفتحة الأولى التى كانت تفتح على البلاطة الرابعة ١,٦٠ مترا ، وأرتفاع الفتحة الثانية ١,٧٥ مترا [١] . وكانا هذان البابان يصلان بين الخلوة والبئر الذى يقع فى الجهة الجنوبية الشرقية للمسجد عن طريق ممر يبلغ طوله ٨,٥ مترا وعرضة ١,٤٠ مترا يوجد بطرفة الشرقى فتحة باب يبلغ أتساعها ٠,٧٠ مترا لها مصراع من الخشب .

ويمثل صدر هذاالممر الجدار الخلفى للجصة [٢] التى حكم بناؤها فى هذا الموضع . موضع الباب الأول من أبواب الخلوة فى القطاع الشرقى من الجدار الجنوبى والذى سبق وصفه ، حيث يلاحظ أنه لا يفتح على المحور الأوسط للبلاطة الرابعة التى يفتح عليها ولكنه ينحرف فى أتجاه الشرق .

ويوجد بالجدار الشرقى للخلوة ثلاث فتحات الأولى فى القطاع الجنوبى وهى فتحة مستطيلة قياسها ٠,٧٠ × ٠,٩٠ متر وترتفع عن مستوى الأرض بمقدار ٠,٩٠ متر ، سدت حاليا بالبناء ، وتمثل هذه الفتحة باب الجصة الملحقة بالمسجد ، والتى كان يحفظ بها تمر الصوام ، وبالقطاع الأوسط من هذا الجدار فتحة باب يبلغ أتساعها ٠,٧٠ مترا وأرتفاعها ٠,٩٠ مترا ، وهذه الفتحة سدت حاليا بالبناء ، وكانت تفتح على السكة (ب / ١) التى تحد المسجد من الجهة الشرقية . وبالجدار الشرقى الواصل بين الجدار الموازى للجدار

---

(١) أنظر الشكل ٦ / أ .

(٢) الجصة بناء صغير أرتفاعة مقارب لقامة الإنسان أو أطول قليلا ، وله باب صغير وتستعمل الجصة لتخزين التمور ، ولها مشعاب أو ميزاب يسيل منه الدبس ، وهو سائل يشبه العسل يخرج من تراكم التمر الرطب . (الميمان : ص ١٣) . محمد إبراهيم الميمان : مفردات التراث الشعبى ترجمة عبد العزيز محمد الذكير ، الرياض ، أصدار لجنة التراث الشعبى بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ، ١٩٨٢م، ص ١٣

الشمالى بداخل المسجد ، والجدار الشمالى نفسه ، فتحة باب يبلغ أتساعها ٠,٧٠ متر وأرتفاعها ١,٧٠ متر سدت بالبناء . وكانت هذه الفتحة تؤدى إلى الموضع أسفل الدرج الشمالى بالخلوة .

ومن خلال هذا الوصف يتضح أنه كان يتوصل إلى الخلوة من أربع أبواب أخرى بالإضافة إلى الأبواب الثلاثة الباقية والتى مازالت تستخدم . وقد سدت هذه الأبواب فى مراحل لاحقة مما يشير إلى حدوث تعديل معمارى مقصود بها .

وتتكون الخلوة من الداخل من ست بلاطات [١] موازية لجدار القبلة بواسطة خمسة صفوف من الأعمدة ، بكل من الصف الأول والثانى – من جهة القبلة – تسعة من الأعمدة الحجرية المبنية من قطع حجرية أسطوانية الشكل مستديرة القطاع ، مملطة بالجص من الخارج . أما الصفوف الثلاثة الأخرى ، فبكل صف منها خمسة من الأعمدة المبنية بنفس الأسلوب ويلفت نظر المدقق فى وضع هذه الأعمدة بالنسبة للمخطط الكلى للمسجد أن هذه الأعمدة ليست على محاور واحدة منتظمة . حيث أن أعمدة الصف الثانى بها وروب عن أعمدة الصف الأول وهذا الوروب بقدر قطر العمود تقريبا ، مما يسمح للمشاهد برؤية صف الأعمدة الثانى إذا نظر إليه من أمام أعمدة الصف الأول . كما يلاحظ أن أعمدة الصف الثالث والرابع والخامس على محاور منتظمة مع بعضها وأن كانت موروبة فى محاورها عن أعمدة الصف الثانى . ويكشف هذا الوضع لأعمدة المسجد فى الصفوف الثلاثة الأخيرة عن محاولة المعمار للمواءمة بين وضع هذه الأعمدة فى الصفوف الثلاثة وبين المساحة الخلفية (الشرقية) للمسجد والتى تحمل سقفها – وهذه المساحة يبدو من طريقة أنشاء مبانيها وتخطيطها أنها كانت ضمن توسعة المسجد فى فترة لاحقة لأنشاء المسجد الأصلى . سيما إذا ما قورنت بالمساحة الغربية للمسجد والتى تشغلها البلاطات الثلاث الأول . وهو ما يعنى حدوث توسعة للمسجد فى هذا الجانب الشرقى . ويبدو أن هذه التوسعة قد تمت فى وقت متأخر نسبيا [٢] .

وإذا كانت هذه التوسعة أقدم من بناء الجدار المقابل للباب الثانى فى الجدار الشمالى للخلوة ، فإن إنشاء هذا الجدار يكون قد حدث من مدة ليست ببعيدة ، وكان أنشاؤه فى

---

(١) أنظر اللوحة ١

(٢) يذكر الشيخ سعد بن ناصر الحجيجى أنه عاصر هذه التوسعة التى تمت قبل حوالى ستين عاما (مقابلة شفهية) فى ٦ / ٨ / ١٤٠٨ هـ

الأصل لأنشاء السلم الشمالى الصاعد إلى الطابق العلوى ومنه إلى السطح ليصبح للمسجد درجان داخليان يؤديان من الخلوة إلى الطابق العلوى بالإضافة إلى الدرج الخارجى الملاصق لجدار القبلة .

محراب الخلوة (١)

من الملاحظ أن حنية المحراب فى مسجد سدوس لا تتوسط تماما جدار القبلة حيث يبلغ طول القطاع الشمالى من جدار القبلة أبتداء من محور حنية المحراب حتى الطرف الشمالى لهذا القطاع ٣,٢٠ مترا بينما يبلغ طول القطاع الجنوبى ابتداء من حنية المحراب حتى الطرف الجنوبى لهذا القطاع ٤,٧٠ مترا ويبلغ الفارق ١,٥ مترا تقريبا . ويبدو أن هذا الفارق لم يكن حادثا عند إنشاء المسجد ، ولكنه حدث نتيجة توسعة للقطاع الغربى للمسجد فى الجهة الجنوبية تلك التوسعة التى أدت إلى التصاق بناء المسجد فى هذا القطاع بالسور الجنوبى . ويرجح ذلك طريقة بناء الجزء الجنوبى من الجدار الشرقى فى هذا القطاع وزيادة وروب العمود الجنوبى من الصف الأول من صفوف الأعمدة زيادة واضحة للمحافظة على نسبة المسافة المتروكة بين هذا العمود والعمود الذى يسبقه مما أنعكس على ضيق المساحة بين هذا العمود والجدار الجنوبى وصغرها عن بقية المسافات بين الأعمدة أو حتى بين العمود الشمالى فى هذا الصف والجدار الشمالى والتى جاءت منتظمة ومساوية لنفس المساحات بين الأعمدة . ومما سبق يجوز أفتراض حدوث توسعة فى هذا الجانب ، ترتب عليها أيضا فتح باب مستقل خارجى للمسجد فى السور يصل من بالخارج عن طريقه مباشرة إلى المسجد . وهو مدخل بسيط عادى – سبق وصفه – ولم يكن فتح مثل هذا الباب فى فترات القلاقل والفتن أمر منطقى لأن فتحة كان يحدث نقطة ضعف فى تحصينات المدينة ، ومن ثم فإن فتحة ربما يكون قد حدث فى الفترة الأخيرة التى ساد فيها الأمن والأمان .

ويبلغ أتساع حنية المحراب ١,٨٠ مترا وعمقها ١,٥٠ مترا فى هيئة مقوسة وعميقة نسبيا إذا ما قورنت بمحاريب المساجد الأخرى فى المنطقة ويبلغ بروز هذه الحنية عن سمت جدار القبلة من الخارج ١,٨٠ مترا عند مستوى الأرض حيث يقل البروز كلما أرتفع البناء . ومما يلفت النظر أيضا زيادة سمك جدران هذه الحنية عن سمك بقية بناء جدار القبلة حيث يبلغ هذا السمك٠,٨٠ مترا. بينما يبلغ سمك بقية بناء جدار القبلة ٠,٥٠ مترا . وهو أمر يطرح أفتراض بناء المئذنة القديمة للمسجد فوق المحراب (٢) .

---

(١) أنظر اللوحة ٢ وشكل رقم ٣

(٢) سنعود إلى مناقشة هذا الأفتراض عند دراسة المئذنة .

وتتصل الخلوة بالطابق العلوى وبسطح المسجد عن طريق الدرج الذى يوجد فى مواجهة الداخل من الباب الذى يقع بالجدار الجنوبى ، وأيضا من الدرج الذى يوجد بالجانب الشمالى من القطاع الشرقى للخلوة . والذى يقع على يمين الداخل من الباب الثانى فى الجدار الشمالى للمسجد .

سقف الخلوة

وسقف الخلوة محمول على سلسلة من الأعمدة الحجرية ، وهذه الأعمدة – كما ذكرنا – مبنية من قطع حجرية أسطوانية « خرزات » متساوية القطر بنيت بناء محكما ، وجصصت فبدأ بدن العمود كما لو كان كتلة واحدة [١] ويتوج كل عمود كتلة حجرية مكعبة بارزة عن بدن العمود تحمل فوقها جوائز [٢] خشبية وضعت عليها عروق خشبية تحمل فوقها بلاطات حجرية يعلوها طبقة من الطين . ومن هذ الوصف تتضح متانة هذا السقف الذى يمثل أرضية الطابق العلوى الرئيس للمسجد والذى يستخدم غالبا فى معظم أوقات العام ويتحمل ثقلا كبيراً بالإضافة إلى الثقل الميت ممثلا فى أعمدة سقف الطابق العلوى وما يعلوه من بناء يمثل سطح المسجد .

ومن الملاحظ أن سقف البلاطات الثلاث الأولى والثانية والثالثة – من الغرب إلى الشرق – أقل أرتفاعا من سقف بلاطات القطاع الخلفى (القطاع الشرقى) وهى البلاطات الرابعة والخامسة والسادسة بمقدار ٢٠ سم ورغم محاولة المعمار الربط جيدا بين سقفى كل من القطاع الغربى والقطاع الشرقى إلا أنه يبدو بوضوح أن سقف القطاع الغربى أقدم من سقف القطاع الشرقى . ويعد ذلك من الأدلة الأنشائية المعمارية التى تؤكد ما سبق الإشارة إليه من أن القطاع الشرقى للمسجد أنشىء فى مرحلة لاحقة .

ويلاحظ وجود بعض الفتحات فى سقف القطاع الغربى مجاورة لأعلى الأعمدة تزود هذا القطاع بالهواء وبعض الضوء [٣] .

---

(١) أنظر الشكل رقم (٧) عن Kilical ، لوحة رقم ٢

(٢) الجائزة هى الخشبة الكبيرة المعترضة بين حائطين أو عمودين – كما فى هذا المسجد – توضع عليها أطراف الخشب فى السقف وتجمع على جوائز أو جوزة وجوزن (للاستزادة راجع – محمد عبد الستار عثمان : الإعلان بأحكام البنيان لإبن الرامى – دراسة أثرية معمارية ، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ، ١٩٨٨ م ، ص ١٥٢) . لوحة رقم ٢

(٣) أنظر الشكل رقم ٦ / و ، ولوحة رقم ٣

وصف الطابق الرئيس (العلوى) للمسجد

كان يتوصل إلى الطابق العلوى للمسجد والذى يمثل الطابق الرئيس ، من الدرج الخارجى ولكن الباب الذى يقع فى الطرف الجنوبى لجدار القبلة والذى يربط بين هذا الدرج ورواق الصلاة سد حاليا بالبناء . ويتوصل حاليا إلى هذا الطابق من الدرجين اللذين يربطان الخلوة بهذا الطابق حيث يمكن الدخول من الباب الجنوبى الخارجى والباب الثانى بالجدار الشمالى إلى الدرج الصاعد إلى هذا الطابق مباشرة .

وينقسم هذا الطابق إلى قسمين رئيسين هما :

(أ) **القسم الغربى** ، وهو عبارة عن رواق للصلاة يتكون من ثلاث بلاطات بواسطة ثلاث بائكات ، تتكون كل من البائكة الأولى والثانية – من الغرب إلى الشرق – من عشرة عقود مثلثة يبلغ أتساع فتحة كل منها ١,٧٥ مترا وارتفاعها ١,٢٠ مترا من مستوى مأخذ العقد الذى يعلو العمود مباشرة [١] . أما البائكة الثالثة المطلة على الصحن (السرحة) فتتكون من سبعة عقود فقط تقوم على ستة أعمدة .

ويوجد بالقطاع العلوى لصفى الأعمدة بالبائكتين الأولى والثانية رفوف بارزة فى الجانب الشرقى [٢] ، ويوجد أيضا بأعمدة البلاطة الثالثة رفوف مماثلة لكنها فى الجانب الغربى من الأعمدة المذكورة . وهذه الرفوف لوضع المصاحف بعد الإنتهاء من قراءة القرآن سيما فى يوم الجمعة قبل الصلاة حيث جرت العادة أن يقرأ المصلون القرآن قراءة فردية وبصوت خفيض فى الفترة التى تسبق صعود الخطيب للمنبر لألقاء خطبته ، ويوجد

---

(١) أنظر الشكل ٦ / هـ و ٦ / و ، واللوحة رقم ٤

(٢) جرت العادة فى بعض البلاد الإسلامية الأخرى كمصر أن يقوم بقراءة القرآن قارىء يجيد قراءة القرآن بصوت حسن يستمع إليه المصلون ، ومن ثم خصص لهذا القارىء ما يسمى « بالكرسى الجوامعى » وهو كرسى مرتفع يبلغ أرتفاعه ٩٠ سم ، به موضع لوضع المصحف – غالبا – حيث يوضع عليه «المصحف الجوامعى » وهو مصحف كبير الحجم يقرأ منه ومن ثم فقد كان الأسلوب هو البديل عن أسلوب القراءة الفردية الذى يتطلب أن يقرأ كل قارىء فى المصحف منفردا مما أستدعى توفير مواضع لوضع العديد من المصاحف تمثلت فى هذه الرفوف وغيرها من أدوات الحفظ كالرفوف الخشبية التى حلت تدريجيا محلها . وأتباع أسلوب القراءة الفردية ينطلق من السنة النبوية الصحيحة التى تمسك بها مواطنو المنطقة كأثر من آثار الدعوة السلفية للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، والتى أنعكس التمسك بها أيضا فى بساطة عناصر أخرى فى المسجد كالمنبر والمحراب ، لوحة رقم ٥

أيضا بجدار القبلة بعض من هذه الرفوف ، منها ما أستخدم أيضا لوضع مصابيح للإضاءة ليلا [١] .

ويوجد برواق القبلة موازيا لجدار القبلة وفى المسافة المحصورة بين بعض أعمدة البائكة الأولى والثانية ، « مسند » مبنى يستند عليه الجالسون من الشيوخ عادة ، أثناء أستماعهم للخطب والمواعظ ، أو أثناء قراءتهم للقرآن أثناء جلوسهم فترات طويلة بالمسجد فى غير أوقات الصلاة [٢] . ويوجد مثل هذه المساند فى الخلوة وأيضا فى الصحن المكشوف بهذا الطابع ويمكن القول بأن هذه المساند من العناصر المعمارية التى تختص بها المساجد التقليدية فى المنطقة .

محراب الطابق العلوى « الجانب الغربى » [٣]

تعتبر حنية المحراب فى الطابق الرئيس العلوى أمتدادا لحنية المحراب فى الخلوة ولكنها تزداد أتساعا وعمقا بسبب قلة سمك بنائها عن سمك بناء حنية الخلوة حيث يقل سمك البناء كلما أرتفع . ويبلغ أتساع هذه الحنية ٢ متر وعمقها ١,٦٠ مترا ويتوسط واجهة هذه الحنية عمود يرتكز عليه وعلى عضادتى الحنية عقدان من النوع المثلث المستخدم فى بائكات الرواق . وبذلك أمكن تقسيم الحنية إلى قطاعين أحدهما بنى به منبر والأخر يمثل قبلة المسجد . ويوجد أعلى واجهة المحراب نقش كتابى بحروف نسخية بسيطة محفورة فى الجص نصها « لا إله إلا الله . محمد رسول الله » وهى الكتابة الوحيدة فى هذا المسجد .

أما المنبر الذى يقع فى الجانب الشمالى من الحنية فهو منبر مبنى بسيط عبارة عن جلسة للخطيب يصعد إليها بدرجة يقف عليها الخطيب أثناء الخطبة ، أما الجلسة فيجلس عليها واضعا قدميه على الدرجة التى يقف عليها . وقد بنى المنبر بهذا الأسلوب البسيط حتى لا يشغل أمتداده جزءا كبيرا من مساحة المسجد كما هو الحال فى المساجد الأخرى . وهو أمر أشار إلى كراهيته الفقهاء ويوجد بأعلى دخلة المنبر فى الجانب الشمالى نافذة قياسها ٥٠ × ٦٠ سم تزود المنبر بالضوء والهواء ولها شباك من الخشب .

---

(١) أنظر الشكل رقم ٦ / هـ ، ٦٠ / و ، واللوحة رقم ٦

(٢) أنظر اللوحة رقم ٧

(٣) أنظر اللوحة رقم ٧

(ب) القسم الشرقى « الصحن »

وهذا القسم عبارة عن صحن مكشوف يعلو القطاع الشرقى من الخلوة . ومساحته غير منتظمة وهى أقرب ما تكون إلى شبه منحرف يبلغ طول كل من ضلعيه الشرقى والغربى ١٢,٥ مترا ويبلغ طول ضلعه الجنوبى ٨,٥ مترا أما طول ضلعه الشمالى فيبلغ ٦,٥ مترا . ويستغل هذا الصحن للصلاة فى أيام الربيع والصيف سيما فى صلاة العصر والمغرب والعشاء . ويبنى ملاصقا لواجهة رواق القبلة المطلة على هذا الصحن جلسة تشبه الجلسة التى بمنبر رواق الصلاة كان يجلس عليها أحد الواعظين الذين يقومون بإرشاد وتوجيه المصلين ووعظهم من خلال دروس كانت تعقد بالمسجد ويوجد مثل هذه الجلسة فى مسجد حريملاء [١] . كما يوجد مثيل لها أيضا فى السطح مجاور الحنية محرابه .

سطح المسجد

يتوصل إلى سطح المسجد من درجين أحدهما فى الجانب الشمالى [٢] ، والأخر فى الجانب الجنوبى ، وهما أمتداد للدرجين الموصلين للطابق الرئيس الذى سبق وصفه ، كما يتوصل أيضا إلى السطح من الدرج الخارجى الملاصق لجدار القبلة من الخارج . ويستغل سطح المسجد – الذى يعلو الرواق – فى الصلاة أيضا فى أيام الصيف وبخاصة فى الأوقات المسائية التى تخف فيها شدة الحرارة [٣] وقد أحيط السطح بسترة يرتفع بناؤها فى الجوانب الشمالية والشرقية إلى حوالى ١,٦٠ مترا ، وذلك لمنع كشف الدور المجاورة [٤] .

وبجدار القبلة محراب يمثل النهاية العليا لأمتداد المحراب المستمر من الخلوة إلى الطابق العلوى إلى هذا السطح . وفى الجانب الشمالى للحنية جلسة يجلس عليها الواعظ أو أمام المجلس أثناء القائه لبعض الدروس على المصلين وهى مبنية بأسلوب بسيط يوفر موضعا لجلوسه وموضعا لوضع قدميه [٥]

---

(١) King : p. 147

(٢) أنظر لوحة رقم ٨

(٣) أنظر لوحة رقم ٩

(٤) سمح الفقهاء بإستغلال أسطح بعض المبانى كمسجد بشرط بناء سترة لمنع ضرر الكشف ومن ثم جرت العادة بإنشاء هذه السترة لتحقق هذا الغرض فى المساجد التى أستغلت أسطحها للصلاة (د . محمد عبد الستار عثمان : الإعلان بأحكام البنيان لإبن الرامى – دراسة أثرية معمارية ، دار المعرفة ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ م ، ص ٦٤) .

(٥) أنظر اللوحة رقم ١٠

المئذنة [١]

تقوم المئذنة الحالية للمسجد بأعلى السلم الصاعد إلى السطح فى الجهة الشمالية ، وهذه المئذنة بسيطة فى عمارتها ، وتنتمى إلى ذلك النمط المربع الذى أنتشر فى المنطقة [٢] .

ويتوصل إلى المئذنة من خلال درج معلق يتكون من أربع درجات يصل بين السطح والسلم الداخلى للمئذنة . ويبلغ أرتفاع المئذنة عن مستوى سطح المسجد بمقدار ٤,٩ مترا ويبلغ أرتفاعها عن مستوى الأرض بمقدار ١١,٤٠ مترا . وينتهى هذا الدرج المعلق إلى فتحة باب صغير للمئذنة يبلغ أتساعها ٠,٥٥ مترا وأرتفاعها ٠,٩٠ مترا له مصراع من الخشب يؤدى إلى درج حلزونى خارجى يدور حول بدون مركزى . وهذا الدرج مكشوف له سياج على هيئة سترة مبنية تمنع الصاعد إلى القمة التى تعلو البدن المركزى حيث يوجد الموضع الذى يقف فيه المؤذن منها فى أتجاه سطح المسجد حتى لا يكشف الدور المجاورة منعا لضرر الكشف ، وهكذا يبدو واضحا أن تصميم المئذنة بهذا الشكل ، روعى فيه ألا يكشف الصاعد إليها أو من بقمتها الدور المجاورة تمشيا مع قيم وتعاليم الدين الإسلامى [٣] ، والتى عاد المجتمع إلى التمسك بها أثر الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو الأمر الذى أنعكس فى كثير من العناصر المعمارية – كما أشرنا – كالمحراب والمنبر والمئذنة وغيرها .

ومن الوصف السابق للمئذنة الحالية يتضح أرتباطها إنشائيا بالقطاع الشرقى من المسجد والذى كما أتضح كان ضمن توسعة لاحقة للمسجد ، والسؤال الذى يطرح نفسه الأن أين كانت المئذنة الأصلية للمسجد ؟ وهل هناك ما يساعد على تصور شكلها ؟ والإجابة على هذا السؤال تطرح مناقشة الأفتراض السابق الذى طرح عند تفسير الشكل الإنشائى لحنية محراب المسجد ، ذلك الشكل الذى ربما يكون فى تحليله ما يجيب على التساؤل المطروح .

أن طريقة بناء حنية المحراب بمقاييسها المتمثلة فى أتساع الحنية وعمقها ، ثم فى زيادة سمك جدرانها عن بقية جدار القبلة ، يشير إلى أن هذه الحنية لم تصمم فقط بهذا الشكل لتؤدى هذه الوظيفة فقط ، ولكن ربما يكون أنشائها أيضا بهذا الشكل عبارة عن

---

(١) أنظر اللوحة رقم ١١

(٢) King : 148

(٣) أنظر الأشكال ٦ / ى ، ٦ / ح ، ٦ / ط .

أساسات قوية لبدن مئذنة تعلو سطح المسجد ويمثل بروز الحنية – الذى يبدو بهيئة أسطوانية تستدق كلما أرتفع البناء – الشكل الخارجى العام لبدن هذه المئذنة .

ويرجح هذا التفسير وجود أمثلة من المساجد التى بنيت لها مآذن تعلو محاريبها فمسجد القويعية [١] الذى بنى فى النصف الأول من القرن ١٢ م [٢] مثال جيد لعقد هذه المقارنة . فهذا المسجد تعلو حنية محرابه مئذنة المسجد ويتوصل إلى سطح المسجد والمئذنة التى يتوصل إلى قمتها عن طريق درج خارجى ملتصق بجدار القبلة يشبه فى تصميمه وشكله العام الدرج الخارجى لمسجد سدوس الملتصق أيضا بجدار القبلة من الخارج [٣] .

ويترتب على هذا التفسير الذى ينطوى عن أحتمال وجود مثال للمآذن الأسطوانية فى المنطقة – بإعتبار الشكل الأسطوانى الخارجى لمئذنة مسجد سدوس الأصلية الذى يطرحه هذا التفسير وهو أن صح – مثال مهم لإعادة مناقشة ما ذكر من أن هذا النمط الذى أنتشر فى سدير وعنيزه وبريدة وكان له أمثلة مشابهة فى منطقة العارض والمحمل سابق لذلك النمط المربع الذى تميزت به المنطقة ، وشاع شيوعا أوحى بأصالته وبعدم أختراق التأثيرات العراقية التى يعزى لها أنتشار النمط المستدير فى سدير وعنيزه لمنطقة جنوب نجد [٤] . وإذا كان بناء المئذنة الأسطوانية التى نفترض بناءها أعلى محراب المسجد أقدم من بناء المئذنة الحالية ذات النمط المربع الذى أنتشر فى بناء مساجد المنطقة الجنوبية من نجد [٥] ، فإن فى هذا ما يشير إلى أن نمط المآذن الأسطوانية يرجع تاريخ أنشائها إلى حوالى القرن ١١ هـ على أقل تقدير فإن فى هذا ما يشير إلى أن نمط المآذن الأسطوانية قد وجد فى المنطقة فى حدود هذا التاريخ وربما قبله [٦]

---

(١) يقع هذا المسجد فى منطقة العقدة بالقويعية ، وهى المنطقة التى هاجر إليها فى عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب أهل غصيبة أقدم مناطق الأستيطان فى القويعية . بعد شراء وبناء المنطقة المذكورة سنة ١١٢٣ هـ كما تثبت ذلك أحدى الوثائق المحفوظة لدى أحد أهالى القويقية .

(٢) عثمان : ص ص ٦٢ – ٦٤

(٣) أنظر اللوحة رقم ١٢

(٤) G. R. King : Traditional Architecture in Najd, Saudi Arabia, Seminar for Arabian Study , 1981 , V. 7 . P. 85

(٥) King : The Historical Mosques, P. 148

(٦) توجد أمثلة من نمط المآذن الأسطوانية فى اليمن وهى أقرب نسبيا إلى منطقة جنوب نجد ، وفى هذا ما يرجح أن يكون هناك تأثير يمنى فى مآذن جنوب نجد ذات الشكل الأسطوانى .

ملحقات المسجد

الجصة :

من الملحقات التى الحقت بالمسجد « جصة » تقع فى الجهة الجنوبية من المسجد فى مستوى الدور الأرضى « الخلوة » ولهذه الجصة فتحة باب صغير سبق وصفها عند وصف « الخلوة » قياسها ٠,٧٠ × ٠,٩٠ م ويبلغ أرتفاعها عن مستوى أرض الخلوة ٠,٩٠ متر أما الجصة ذاتها فتشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١,٤٠ مترا . ويبلغ أرتفاع سقفها حوالى ١,٧٠ مترا . وهذه الجصة كانت لتخزين بلح النخيل الذى وقف على المسجد والمسمى محليا « بلح الصوام » حيث كان يأكل منه خطيب وأمام المسجد وكذلك الصائمون عند أفطارهم على بعض من البلح قبل أقامة صلاة المغرب فى أيام شهر رمضان . وقد جرت العادة أن يوقف أهل الثراء من بلدة سدوس بعض نخيلهم لهذا الغرض (١) .

البئر وملحقاته

أعتمد أهل نجد بصفة عامة على مياه الآبار أعتمادا أساسيا فى حياتهم وسقى زراعاتهم ، وتوفر فى المنطقة المتخصصون فى حفر الآبار ، وأتسم هؤلاء بالقوة لصعوبة حفر الآبار ولطول المدة التى يستغرقها الحفر ، وأيضا لثقل « الأهياب » (جمع هيب) وهى الأداة التى تستخدم فى حفر الأبار والتى يصل وزنها إلى حوالى ٤٠ كجم .

وعند حفر البئر يراعى فى أتساعة ما يشغله طى البئر بالحجر من الجوانب المختلفة ، وعندما يصل الحفارون إلى المستوى الصخرى الذى يسمى محليا « العزا » يبدأ الحفر بالهيب حتى يصل الحفر إلى الماء ، وإذا رويت البئر يطوى بالحجر من القاعدة إلى السطح ويسمى الحجر المستخم فى طى البئر « المذيل » ويستخدم العمال فى نقل الحجر إلى موقع البئر أداة نقل تسمى « المحمل » يوضع عليها الحجر ثم يعود مرة أخرى إلى قاع البئر لاستخدامة فى الطى من أسفل إلى أعلى بواسطة « الرشا والمحالة » حيث يتم ربط الحجر بالحبال وتسمى هذه العملية « تكليب الحصى » وذلك بوضعه فى جلد الأبل ، وينزل « يحدر » إلى قاع البئر والسبب الرئيس فى ربط الحجر بالحبال ووضعه بهذه الهيئة فى جلد الأبل حتى لا يسقط على البناء « الأستاذ » شىء منه .

---

(١) رواية شفهية عن الشيخ مدين ناصر الحجيجى فى ٢٩ / ٦ / ١٤٠٩ هـ بالرياض .

وإذا أنتهى طى البئر إلى مستوى صب الغروب والذى يسمى محليا « حد الألزية » ومفردها « لزا » ، يحضر حجر القرون بطول ثلاثة أمتار وتوضع على الطوى بارزة حوالى ٢٠ سم من الجانبين ثم تبنى فوقها الزرانيق حيث تسع قاعدتها من عند البئر إلى أن تضيق من أعلى . وبعد الأنتهاء من بناء الزرانيق يحضر دوافع من جذوع النخل تسمى مقدمات ومؤخرات وتركب فوق الزرانيق ويحضر أيضا أخشاب تسمى « الأنباع » تركب على بالعرض على المقدمات والمؤخرات ثم يركب عليها المحال . التى تركب عليها الحبال التى بطرفها الغروب التى تمتلىء بالماء عند نزوله إلى مستوى قاع البئر [١]

يقع البئر فى الجهة الجنوبية الشرقية خارج المسجد ، ويجاوره ملاصقا له من الجهة الشمالية « مروش » كما يوجد حوضان أخران يملان بالماء من البئر بواسطة الدولاب أحدهما يلاصق السور الجنوبى للبلدة من الداخل والاخر يقع فى الجهة الشمالية الشرقية من البئر [٢] .

وكان هذا البئر مصدر الماء الرئيس داخل البلدة ، كما أنه كان ليخدم أغراض التطهر والوضوء للمصلين بالإضافة إلى سقى الدواب من « حوض الدبش » الذى يقع ملاصقا للسور الجنوبى .

والبئر مستدير الشكل ويبلغ قطر فوهته ١,٨٠ مترا تقريبا ، ويبلغ عمق البئر من مستوى سطح الأرض حتى مستوى سطح الماء حوالى ثمانية أمتار ، وقد طوى الجزء العلوى من جدران البئر حوالى ٣,٥ متر بحجر الدبش المقلب [٣] والمروم فى مداميك منتظمة . ويكتنف فوهة البئر من كل من الجانبين الشمالى والجنوبى « زرنوق » ، أى عضادة مبنية بأرتفاع حوالى ٢ متر كانت تثبت عليهما « المحالة » وهى بكرة تثبت على محور و « دراجة » حيث كان يربط بين الدراجة والبكرة حبل يربط فيه « الغرب » الذى يمتلىء بالماء ويرفع يدويا أو بواسطة الدواب التى كانت تستخدم فى رفع الماء حيث يوجد فى الجهة الغربية من البئر « المنحاة » وهى الموضع الذى تسير فيه الدواب التى تستخدم

---

(١) الوشمى : ص ص ٥٧ – ٥٨

(٢) أنظر الشكل رقم (٨ / ٨،١ / ب) .

(٣) أنظر الشكل ١٠ / أ واللوحة رقم ١٣ وحجر الدبش « المقلب » هو نوع من الأحجار غير المنتظمة الجوانب أى أن الأحجار غير «مرومة » ، والأحجار المرومة هى التى أنتظم تحت جوانبها الأربعة المرقدان والجانبان نحتانحتا منتظما يساعد على سهولة البناء بها . أنظر اللوحة رقم ١٣ ، ١٤

فى رفع الماء ، فهذه الدواب كانت تشد الحبل عند سيرها فى الأتجاه البعيد عن البئر ، فيرتفع الغرب ليصب فى الحوض أو الأوانى التى تملأ بالماء من البئر ، وعد عودتها فى أتجاه البئر يتدلى الحبل الذى بطرفه الغرب فى البئر ليمتلىء بالماء مرة أخرى ، ثم يرفع تعود الدواب إلى الأتجاه البعيد وبتكرار العملية يتم الحصول على الماء المطلوب .

« المروش » (١)

• يقع المروش الذى يستخدم للأستحمام ملاصقا للبئر من الجهة الشمالية الغربية وهذا المروش عبارة عن موضع يتسع لشخص يغتسل فيه يبلغ قياسة ١,٣٠ مترا من الشمال إلى الجنوب و ١,٤٠ مترا من الشرق إلى الغرب وله فتحة باب فى الجار الشمالى ، ويلاحظ أن جداره الغربى مقوس فى هيئة قطاع من دائرة ، ويبلغ أرتفاع جدران هذا المروش حوالى ١,٦٥ مترا ويوجد فى أعلى الجدار الجنوبى حوض صغير حجرى به عند القاع فتحة صغيرة فى الجانب الشمالى ينزل منها الماء وعند فتحها عند الأغتسال «التروش » ويبلغ قياس هذا الحوض ٠,٣٥ × ٠,٢٥ مترا بعمق يصل إلى حوالى ٠,٣٥ مترا ويملأ هذا الحوض بالماء من البئر الملاصق للمروش مباشرة . وبأعلى هذا الجدار أيضا قناة حجرية يجرى فيها الماء إلى حوض كان يستخدم فى الوضوء ، وماء الأغتسال والوضوء كان يتم صرفه عبر قناة فى الجانب الشمالى تتجه شرقا حيث توجد أثار قناة تجر الماء إلى الحوض الذى يقع فى الجهة الشمالية الشرقية من البئر . وكان الماء المستخدم فى الأغتسال أو الوضوء ينصرف عبر هذه القناة إلى النخيل الذى يقع فى الجانب الشمالى الشرقى من البئر داخل السور (٢)

« حوض الدبش »

يقع هذا الحوض فى الجهة الجنوبية الغربية من البئر ، ملاصقا للمنحاة من الجانب الجنوبى ويبلغ طول هذا الحوض ١١ مترا ، أما عرضه فيبلغ ٢,٥ مترا (٣) ، ويلاحظ أن قاعه فى الوسط أعمق من الجانبين ويبلغ عمقه فى الوسط حوالى ٠,٦٥ مترا وهو مملط من الداخل بمونة تقوى على الماء عبارة عن خليط من الجص والتراب الناتج عن الحرق فى الفرن والذى يسمى محليا « الصهروج » وهذا الحوض كان يستخدم فى سقى الدواب .

(١) أنظر شكل رقم ٢ ، ولوحة رقم ١٥

(٢) يوجد مثل هذا النخيل غالبا مجاورا للبئر فى العديد من المساجد التقليدية فى نجد ويسمى هذا النخيل الذى يكون وقفا فى الغالب على المسجد باسم السبيل ، ونرى فى ثادق وغيرها أمثلة واضحة على ذلك .

(٣) أنظر الشكل رقم ٢

الحوض الشمالى الشرقى

يقع هذا الحوض فى الجهة الشمالية الشرقية من البئر بعيدا بعض الشىء وهو متهدم تهدما كبيرا لكن يمكن تحديد قياسه حيث يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ٤,٨ مترا وعرضه من الشرق إلى الغرب ٢,٥ مترا [١] وتهدمت جوانبه مما لا يمكن معه تحديد مقدار عمقه لكن يلاحظ أن قاعه فى الوسط كان أعمق فى الجوانب كالحوض السابق . ويتوصل الماء إلى هذا الحوض عن طريق قناة للصرف مجاورة للبئر من الجانب الشمالى . ولكن يبدو أن توصيل الماء من خلال هذه القناة للحوض كان فى وقت لاحق ، وتشير آثار رفع الماء على الجانب الشمالى لفوهة البئر إلى أنه كان هناك فى الغالب – منحاة فى الجانب الشمالى من البئر كانت لها محالة ترتكز على « زرنوقين » وكان الماء يرفع بواسطتها فى هذا الجانب ، ويدل على ذلك البناء المتصل بفوهة البئر فى الجانب الشمالى والذى يظهر عليه آثار صب الماء فى هذا الجانب .

النمط التخطيطى للمسجد

بعد هذا الوصف والتحليل لبعض عناصر المسجد المعمارية ، يبقى أن نشير إلى أن هذا النمط التخطيطى لمسجد سدوس مر بمراحل معمارية بدأت بالقطاع الغربى ، ثم حدث أن أضيف له القطاع الشرقى وأيضا الجزء الجنوبى من القطاع الغربى والذى أدى إلى التصاق المسجد بالسور الجنوبى للبلدة فى هذا القطاع . ورغم تعدد هذه المراحل المتتابعة التكوين المعمارى للمسجد شكل فى النهاية هذا الشكل العام للمسجد الذى يمكن تصنيفه وفق هذا التكوين ضمن نمط المساجد النجدية ذات الخلوة والمتعددة المستويات التى تستخدم للصلاة سواء كانت مسقوفة أو مكشوفة بل أن بعض العناصر كالمئذنة الحالية التى بنيت وفق الأسلوب المتبع موضعا وشكلا تؤكد على أدراج هذا المسجد ضمن هذا النمط . وتبقى المرحلة المعمارية الأقدم ممثلة فى القطاع الغربى بشكلها المستطيل وبعناصرها المعمارية – التى ترجع إلى القرن ١١ هـ على الأقل – سيما حنية المحراب بأسلوبها الأنشائى الذى فى ضوءها كان الأفتراض بوجود مئذنة تعلوها . من الشواهد الدالة على أن مسجد سدوس كان بهذا الشكل البسيط قبل أن تتسع عمارته ويتشكل تكوينه المعمارى فى المراحل التالية تشكيلا يضعه ضمن النمط السائد فى المنطقة وهو المسجد ذو الخلوة ، متعدد المستويات المسقوفة والمكشوفة – كما ذكرنا – .

---

(١) أنظر الشكل رقم ٢

وتبقى أيضا خلوة مسجد سدوس مختلفة عن الخلاوى المحفورة فى تخوم الأرض فى مستوى منخفض أنخفاضا واضحا عن مستوى الأرض لتوفير الدفء فى الشتاء للمصلين . حيث أن بناءها جاء فى مستوى أرض البلدة . وقد يكون هذا الأختلاف ناتجا عن عدم رغبة من بنوها فى أنشاء خلوة فى تخوم الأرض ، أو أنه كان بهذا الوضع بسبب ما – أشرنا إليه – من قرب مستوى المياه الجوفية من سطح الأرض وهو ما منع حفر الخلوة فى تخوم الأرض وفرض بناءها بهذا الأسلوب .

وظاهرة أنشاء الخلوة التى توفر مستوى أرضيا يستخدم للصلاة فى أوقات الشتاء تعتبر ظاهرة مهمة . حيث أنها تعد معالجة مناخية جيدة للتغلب على البرد القارس الناتج عن تسرب كتل هوائية باردة فى الشتاء متسربة من منطقة صحراء سيبريا . وإذا كانت السراديب والحجرات المدفونة فى باطن الأرض كلها أو جزء منها كانت من بين الأساليب والمعالجات المعمارية فى بعض المناطق كبلاد العراق والصحراء الجزائرية للتغلب على حرارة الجو ، فإن الحل ذاته أستخدم فى مساجد نجد لكنه للتغلب على برودة الجو . وقد عرفت العرب أن حفر المواضع والأستقرار بها يمكن من إتقاء البرد ولا أدل على ذلك مما أنشده إبن جنى (٣٣٢ – ٣٩٢ هـ) .

جاء الشتاء ولم أتخذ ربضا يا ويح كفى من حفر القراميص

أى حفر مأوى والقرموص حفرة يحفرها الرجل يقعد فيها من البرد [٢] .

وتوجد بواحة سيوة فى مصر نماذج من المساجد ذات الخلوة ، المبنية فى تخوم الأرض فى مستوى ينخفض عن مستوى أرضية [١] الشارع وبنفس الأسلوب المنتشر فى مساجد نجد ذات الخلوة ونظرا لتشابه الظواهر المناخية لكل من منطقة نجد فى المملكة العربية السعودية وواحة سيوه فى الصحراء الغربية لمصر فقد تشابهت المعالجة المعمارية [٣] .

---

(١) المطرزى (أبى الفتح ناصر الدين – ت ٦١٠ هـ) : المغرب فى ترتيب المعرب ، تحقيق : محمد فاخورى ، عبد الحميد مختار ، نشر مكتبة أسامة بن زيد ، حلب ، ١٩٧٩ م ، جـ ١ ص ٣١٦

(٢) أسامه النحاس : عمارة الصحراء ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، د . ت .، ص ٢٣ ، أنظر شكل رقم ٢٢ فى هذا المرجع حيث يبين مسقط الجامع العتيق بهضبة غورمى .

(٣) فى صحن مسجد الكوفة فى العراق يوجد مسجد السقيفه الذى كان بناؤه منطمرا تحت مستوى أرضية المسجد بسبب مستوى الأرض بمرور الزمن ، وربما يفترض أحد أن هناك علاقة بين هذا المسجد وانتشار نمط المساجد ذات الخلوة فى مساجد الشيعة بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ولكنه أفتراض ليس له أى سند تاريخى أو أثرى .

ويبقى البحث عن الموطن الأصلى لهذا النمط من المساجد ذات الخلوة مثار تساؤل ؟ وأن كان أنتشار هذا النمط فى المملكة العربية السعودية وبخاصة فى منطقة نجد من العوامل الدافعة والمرجحة لبحث أصوله فى المملكة وأحتمال أنتقاله إلى مصر وغيرها مع هجرات القبائل العربية سيما تلك القبائل النجدية من بنى هلال وسليم وغيرها - يكون فى هذه الحالة - أمرا قائما .

والظاهرة المعمارية الأخرى التى تتميز بها هذه المساجد هى تعدد المستويات التى يمكن أن تستغل فى الصلاة كالخلوة والرواق المسقوف فى الطابق العلوى ، والصحن المكشوف فى هذا الطابق أيضا والذى يتقدم غالبا الرواق ، وسطح المسجد . ولا شك أن هذه المستويات التى يوفرها الأمتداد الرأسى للمسجد دون الحاجة إلى مساحة كبيرة من الأرض ، كان ليوفر مكانا لأكبر عدد من المصلين سيما فى الصلوات الجامعة دون شغل المسجد لمساحة كبيرة من أرض المستوطن الذى غالبا ما حددت مساحته الأسوار المحصنة له ، وكأنما كان هذا الأمتداد الرأسى بهذه المستويات المتعددة ليتلاءم والرغبة فى توفير المساحة المحصنة داخل المستوطن لإقامة المبانى والمرافق الأخرى .

كما أن هذا التعددللمستويات ، يوفر حرية تغيير موضع الصلاة من فترة إلى أخرى وفق الظروف المناخية التى تحدد بشكل واضح كثيرا من مظاهر النشاط فى حياة مجتمع نجد ، وكذلك حددت كثيرامن الظواهر المعمارية التى كانت أنعكاسا واضحا لهذا النشاط ويمكن أن يوفر هذا التعدد فى المستويات أيضا موضعا مستقلا للنساء عندما يأتين إلى المسجد للصلاة سيما فى ليالى رمضان والعيدين أو لسماع خطبة الجمعة .

وتعكس البساطة المعمارية لهذا النمط من المساجد سواء فى مواد وأسلوب أنشائه ، أو خلوه من الزخرفة أو بساطة عناصره كالمحراب والمئذنة ، ذلك التمسك الشديد بتعاليم الإسلام التى تدعو إلى البساطة والتقشف ، كما أن من بين هذه العناصر ما هو مرتبط بعمارة المصلين للمسجد أثناء إقامة الصلوات أو فى الأوقات الأخرى للدرس أو قراءة القرآن وإقامة الشيوخ المسنين فى المسجد وقتا طويلا بغرض العبادة والذكر تلك الإقامة التى أستدعت إنشاء تلك المساند المبنية الموازية لجدار القبلة فى الأروقة أو الصحون يستند عليها الجالسون فى هذه المساجد من المسنين فترة طويلة . ويعكس هذا كله آثار الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب تلك الدعوة التى نظمت سلوك المجتمع تنظيما قائما على مبادىء السنة الصحيحة أنعكس فى هذه المظاهر المعمارية البسيطة المتقشفة .

تاريخ المسجد

يتضح من الدراسة المعمارية السابقة للمسجد أنه مر بمراحل عمرانية متتابعة ، وأنه فى الغالب بدأ بهيئة معمارية بسيطة تشبه مسجد القويعية (١١٢٣ هـ) ثم نما معماريا حتى أخذ هيئة المساجد النجدية ذات الخلوة والتى شاع تخطيطها فى المنطقة فى القرنين ١٣-١٤ ثم حدثت به توسعة فى الجهة الشرقية أنشئت قبل حوالى ستين عاما وعاصر هذه التوسعة أيضا فتح باب للمسجد فى السور الجنوبى لوصل المسجد مباشرة بالخارج .

وفى إطار ما ورد فى المصادر التاريخية عن أحداث تتصل بعمران سدوس يمكن القول بأن اجلاء آل محمد من العيينة واستقرارهم فى سدوس سنة ١٠٥٨ هـ [١] كان له أثره فى زيادة عمران سدوس ، وكذلك كان لهدم مقر آل معمر فى العيينة سنة ١١٧٣ هـ وخرابها بعد ذلك لمدة مائة عام [٢] أثره فى إنتقال أهلها إلى المستوطنات المجاورة وأقربها وأكثرها صلة بالعيينة سدوس - أثره فى زيادة عمرانها ، وأستمر عمران سدوس فى الزيادة حتى أنه فى عهد الملك عبدالعزيز أنشىء حى خارج أسوار البلدة عرف « بجدة » تيمنا بفتح جدة فى عهده [٣]

وهذه الزيادة فى عمران سدوس فى هذه الفترات المتتابعة فرضت الزيادة فى توسعة المسجد والأهتمام بعمارته سيما وأنه لم ينشأ مسجد أخر بالبلدة أو خارجها حتى عهد الملك عبد العزيز الذى تمت فى عهده أخر توسعة بالمسجد من الجهة الشرقية .

وفى ضوء ما سبق يمكن أن نرجع تاريخ عمارة مسجد سودس الحالية إلى الفترة الممتدة من القرن ١٢ - ١٤ هـ .

---

(١) إبن بشر (عثمان بن عبد الله) : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، المطبعة الأهلية ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ ، ص٤٠٢

(٢) الفاخرى (محمد بن عمر) : الأخبار النجدية - دراسة وتحقيق وتعليق : د . عبد الله يوسف الشبل ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، لجنة البحوث والترجمة والنشر ، د . ت . ، ص ١١ ، إبن بشر ص ٤١ ، إبن غنام (حسين) : تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الأمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام ، المكتبة الأهلية ، الرياض ، ١٩٤٩ م ، جـ ١ ، ص ١٠٨

(٣) رواية شفهية للشيخ سعد بن ناصر الحجيجى فى ٦ / ٩ / ١٤٠٨ هـ .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية :

١ - الأعشي (أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل) :

ديوان الأعشى ، تحقيق : محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤ م .

٢ - إبن بشر (عثمان بن عبد الله) :

عنوان المجد فى تاريخ نجد ، المطبعة الأهلية ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ ، وطبعة أخرى فى الكتاب حققها بعض الأفاضل بأمر وزارة المعارف السعودية ، بيروت ، دار صادر ، د . ت .

٣ - الحربي (إبراهيم بن إسحق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله) :

المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق : حمد الجاسر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٩٦٩ م .

٤ - الريحاني (أمين) :

تاريخ نجد الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، المجلد ٥ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠ م .

٥ - السمهودي (نور الدين علي بن أحمد) :

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، د. أ، د. ت.

٦ - إبن سيده (أبي الحسن علي بن إسماعيل) :

المخصص ، دار الفكر ، د . ت .

٧ - عثمان (محمد عبد الستار) :

الإعلان بأحكام البنيان لإبن الرامى – دراسة معمارية أثرية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ م .

٨ - العوهلي (عبد العزيز) :

الخواص الحرارية للطوب النيء ، مجلة البناء ، الرياض ، السنة الثامنة ، العدد ٤٤ – ربيع الأول / ربيع الثانى ، ١٤٠٩ هـ .

٩ - إبن غنام (حسين) :

تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام ، المكتبة الأهلية ، الرياض ، ١٩٤٩ م .

١٠ - الفاخوري (محمد بن عمر) :

الأخبار النجدية ، دراسة وتحقيق وتعليق : د . عبد الله بن يوسف الشبل ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، لجنة البحوث والترجمة والنشر ، الرياض ، د . ت .

١١ - الفائز (إبراهيم محمد) :

البناء وأحكامه فى الفقه الإسلامى - دكتوراة مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٦ هـ .

١٢ - المطوزي (أبي الفتح ناصر الدين) :

المغرب فى ترتيب المعرب ، تحقيق : محمد فاخورى، عبد الحميد مختار ، نشر مكتبة أسامة بن زيد ، حلب ، ١٩٧٩م .

١٣ - العيمان (محمد بن إبراهيم) :

مفردات التراث الشعبى ، ترجمة : عبد العزيز محمد الذكير ، أصدار لجنة التراث الشعبى بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون الرياض ، ١٩٨٢ م .

١٤ - النجاس (اسامة) :

عمارة الصحراء ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، د . ت .

١٥ - الوشمي (أحمد بن مساعد) :

الرياض مدينة وسكانا - كيف كانت وكيف عاشوا ، مطابع الحرس الوطنى ، د . ت .

١٦ - ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله) :

معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٨٤ م .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

1 - **Daughty, C. M. :** Travels in Arabia Deserta , London , 1923.

2 - King, G. R. : **Traditional Architecture in Najd, Saudi Arabia,** Seminar for Arabian Study, 1981.

3 - **King :** The Historical Mosques in Saudi Arabia, Longman , London, New York , 1986

4 - **Kilical , Adel Ahmet :** An Evolution on traditional architecture in Riyadh, Case Study, : Al Diraiyah , King Saud University, College of Engineering, 1404 , A. H.

5 - **Serjeant, R. B. :** In City of San'a . ed . Kirman , London, 1976.

6 - **Wolshill, L. E. et al :** Hand Book for building homes of Earth Texas, Texas Transportation Institute, College Station Bulletin No. 27 , E 14 - 63

7 - **Pelly, Lewis :** Report on Journy to Wahabee Capital of Riyadh in Central Arabia (1865) . Pobay Printed for government at Education Society Press Byulls, 1960.

8 - Southiuch, M. : Build with adobe, Chicago Sage Book, 1965.

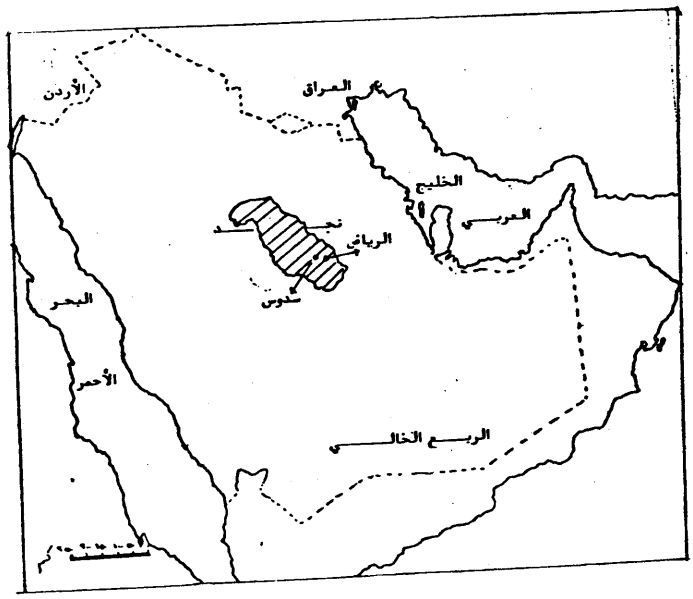

شكل رقم (١)
خريطة تبين موقع نجد بالنسبة للملكة العربية السعودية
وموضح على الخريطة موقع سدوس
- عن السعيد بتصرف -

شكل رقم (٢)
مسقط أفقى للدور الأرضى من منشآت سلوس
عن منكة

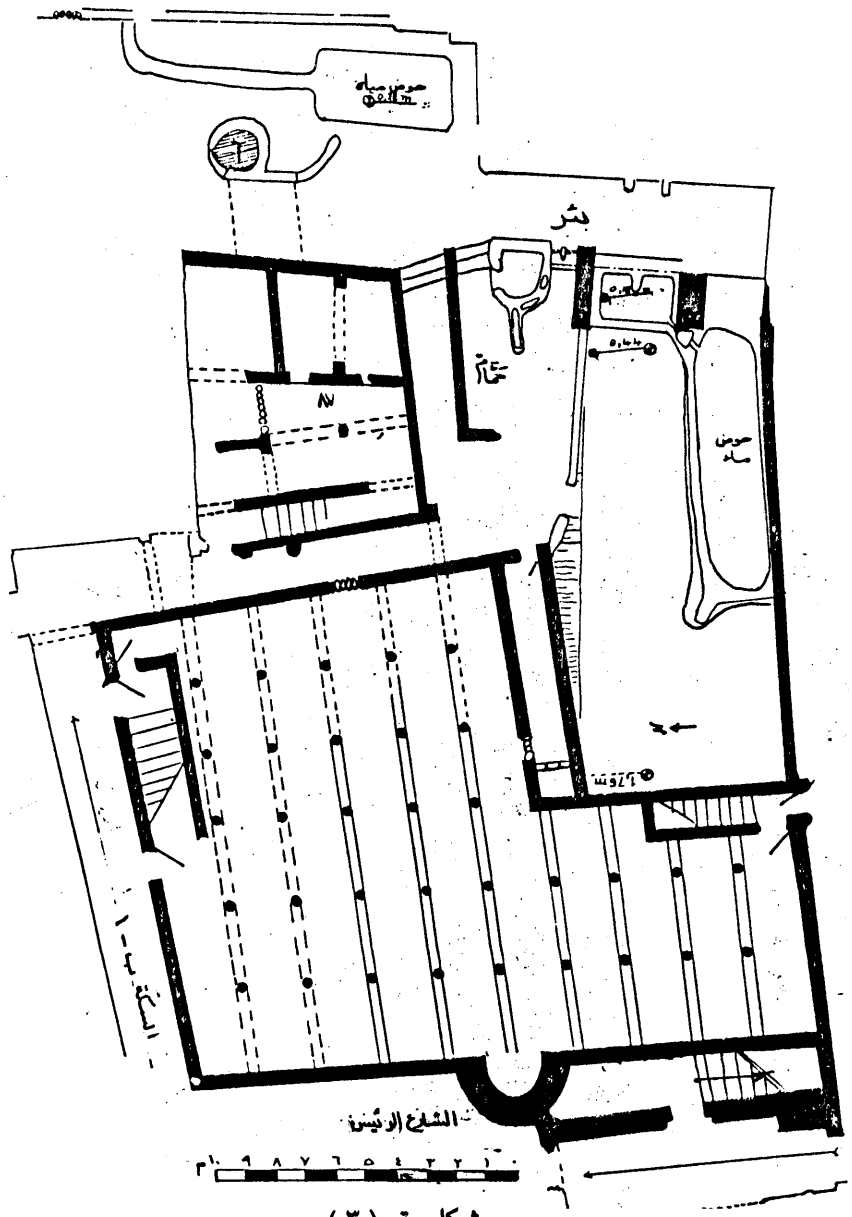

شكل رقم (٣)
مسقط أفقى لخلوة المسجد

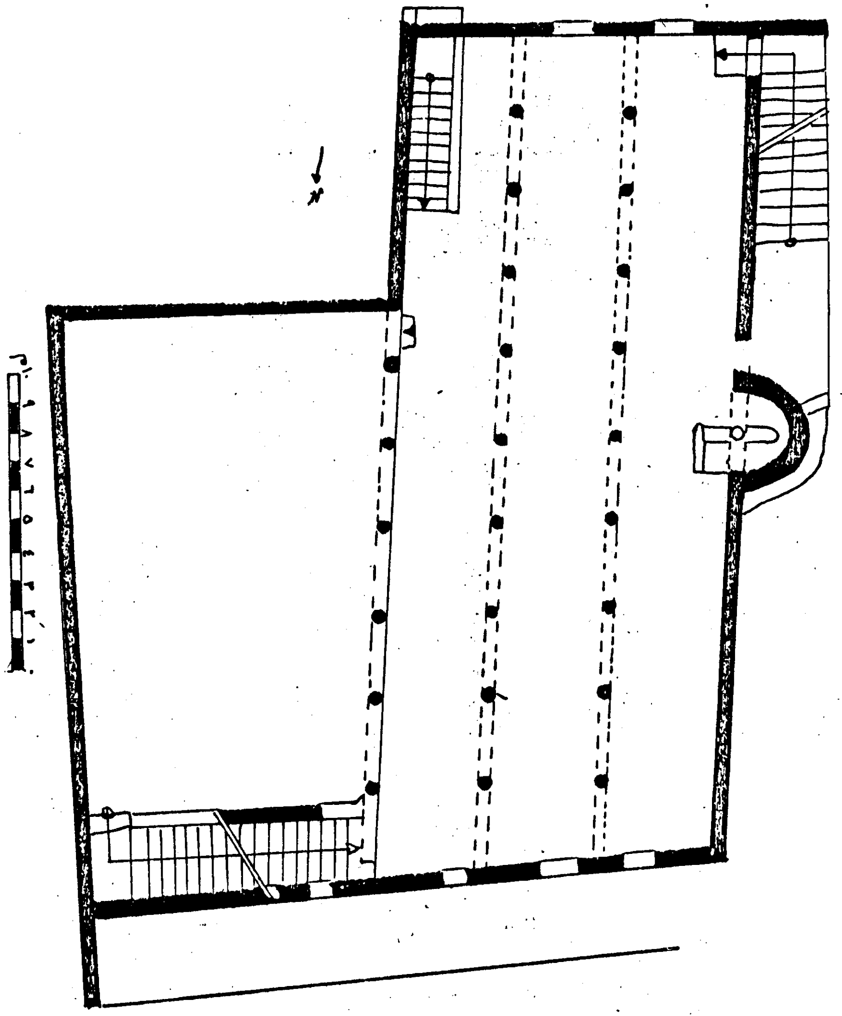

شكل رقم (٤)

مسقط أفقي للطابق الرئيسي من المسجد

شكل رقم (٥)
رفع هنكة

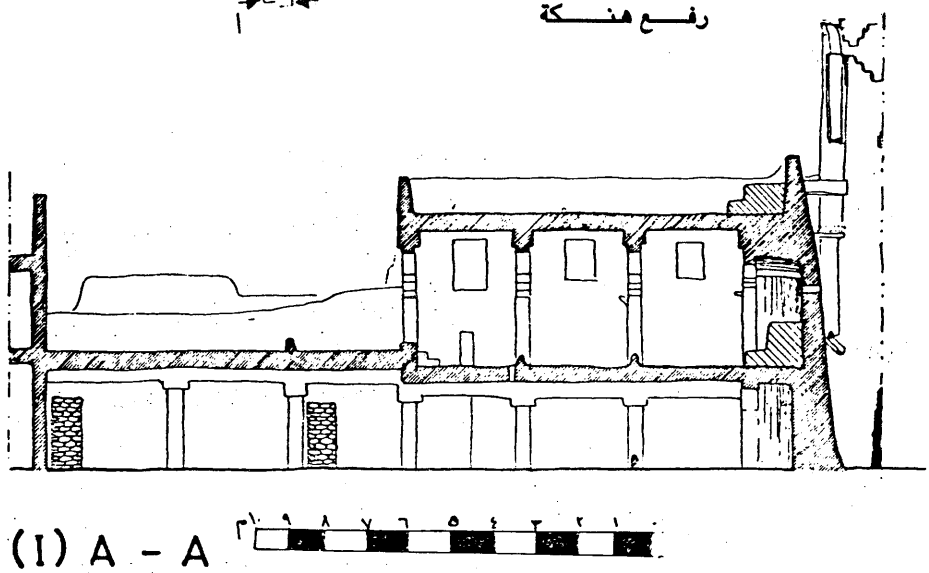

شكل رقم (٦ - أ)
رفع هنكة

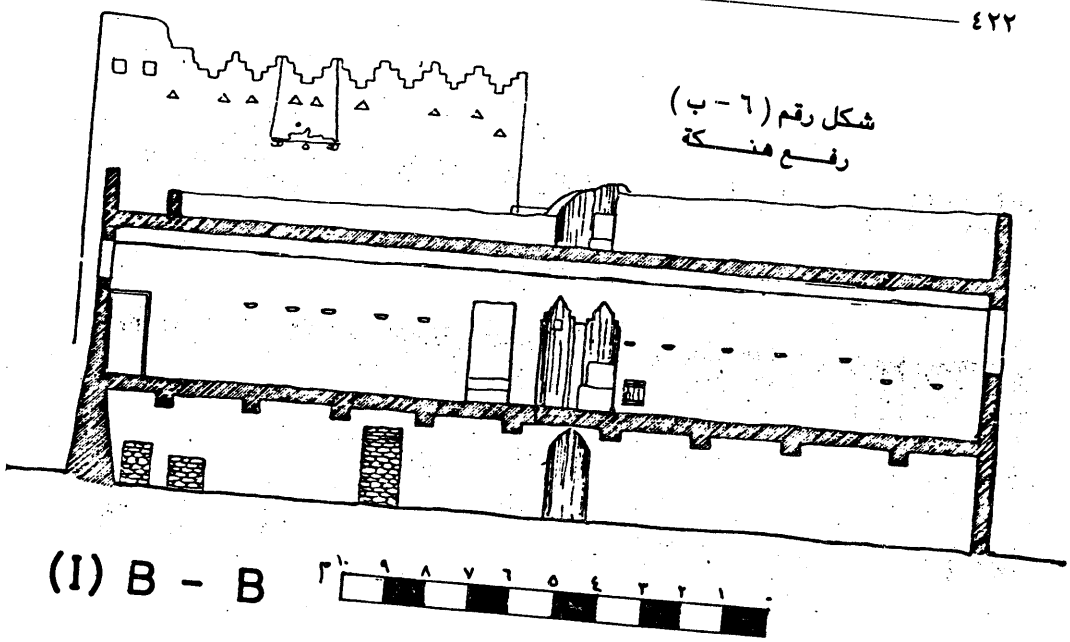

شكل رقم (٦ - ب)
رفع هنكة

(I) B - B

شكل رقم (٦ - ج)
رفع هنكة

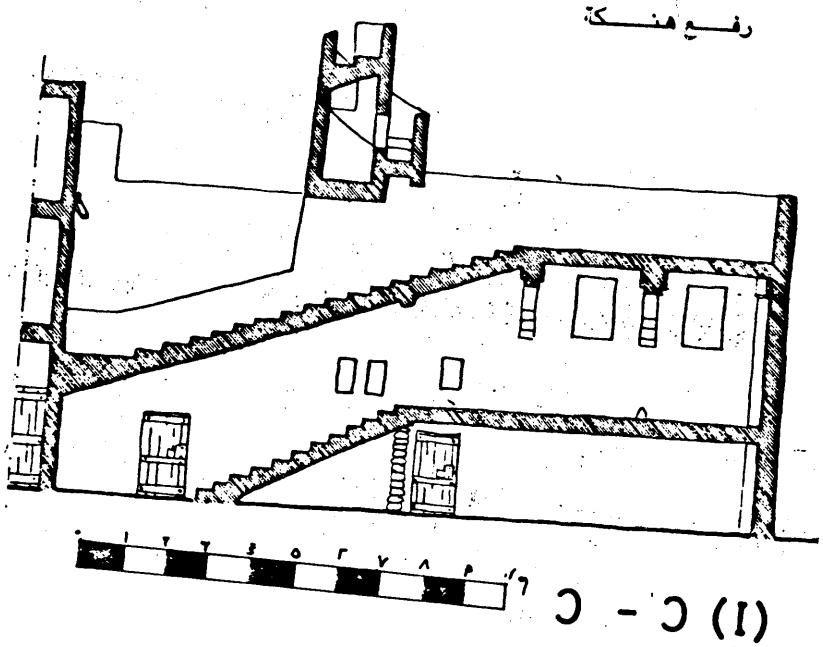

(I) C - C

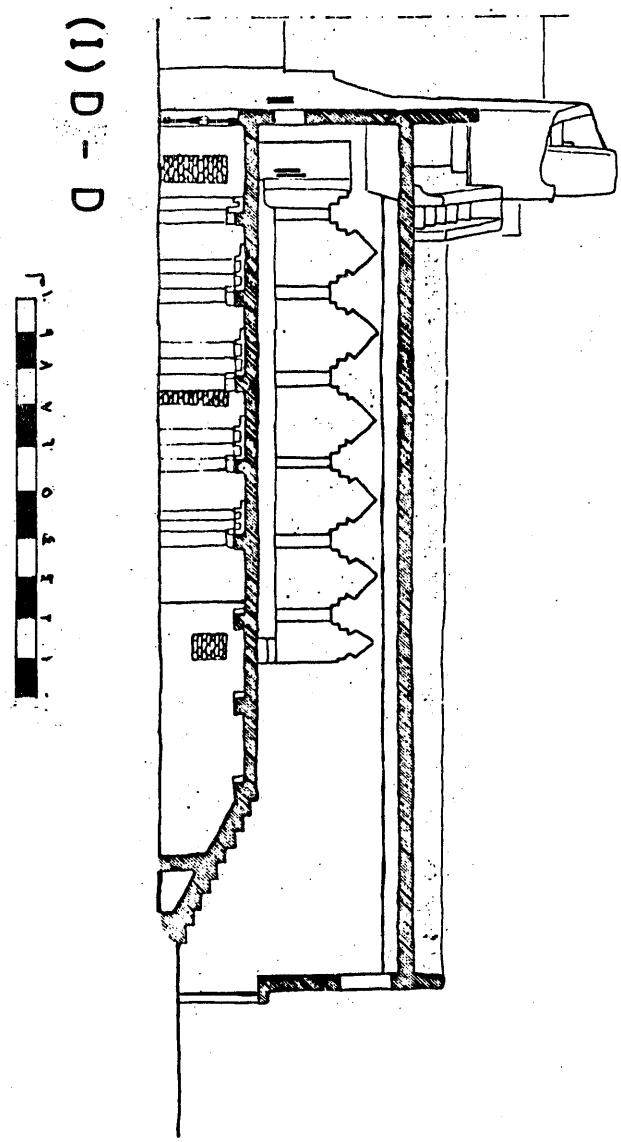

شكل رقم (٦ - ب)
رفع هندسى

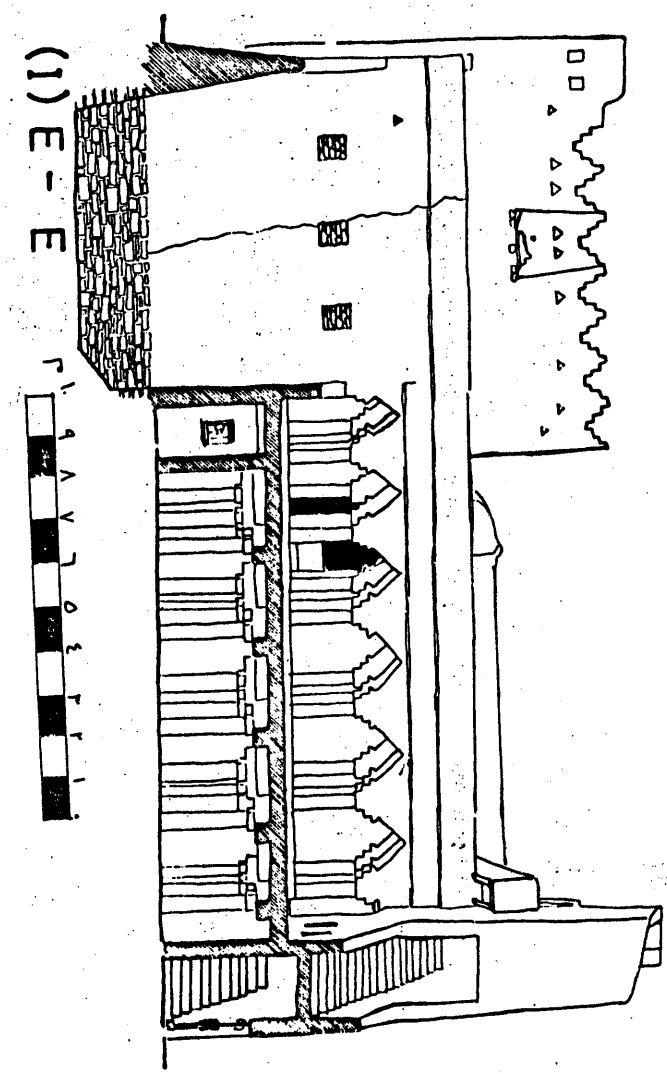

شكل رقم (٦ - هـ)
رفح منكة

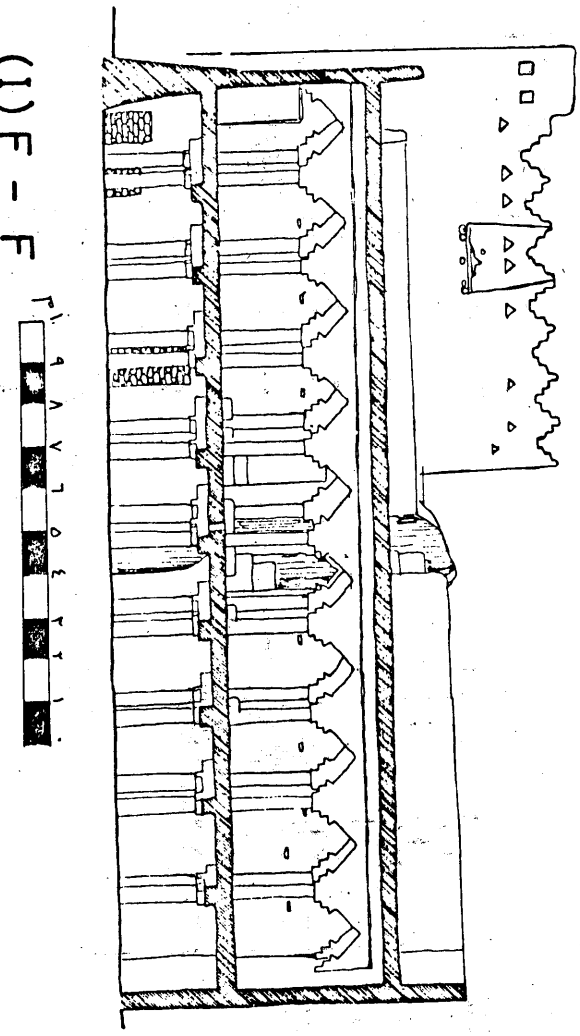

شكل رقم (٦ - و)
رفع هندسى

شكل رقم (٦ - ز)
رفـــع هنـــكة

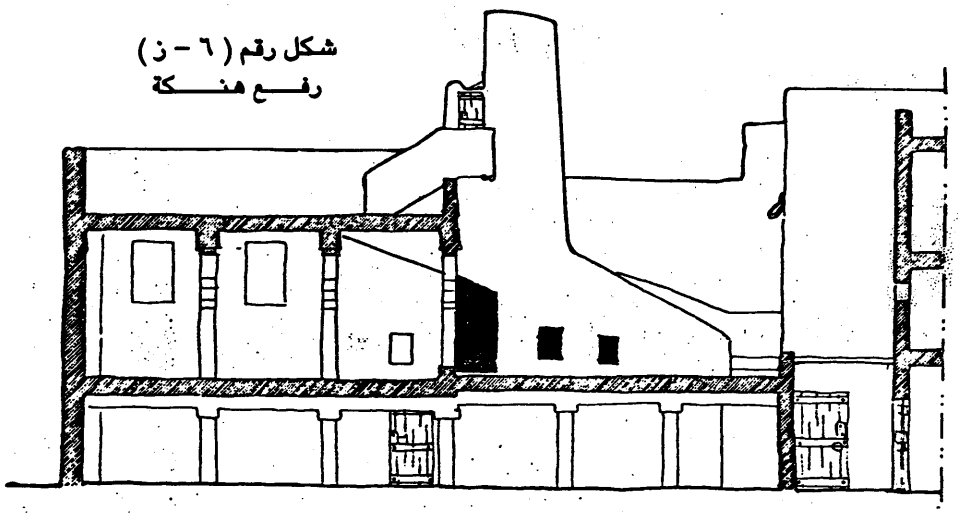

(I) G - G

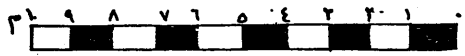

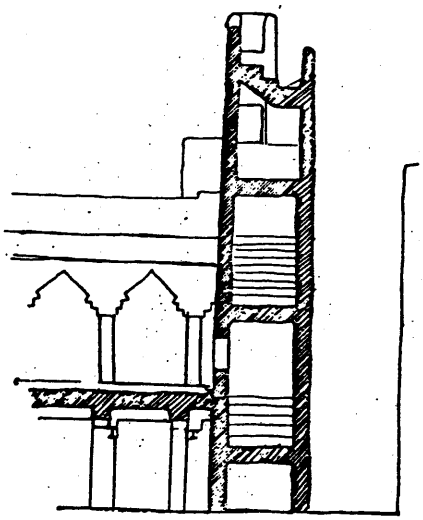

(I) H - H

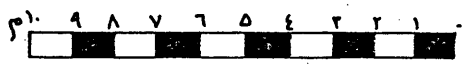

شكل رقم (٦ - ح)
رفـــع هنـــكة

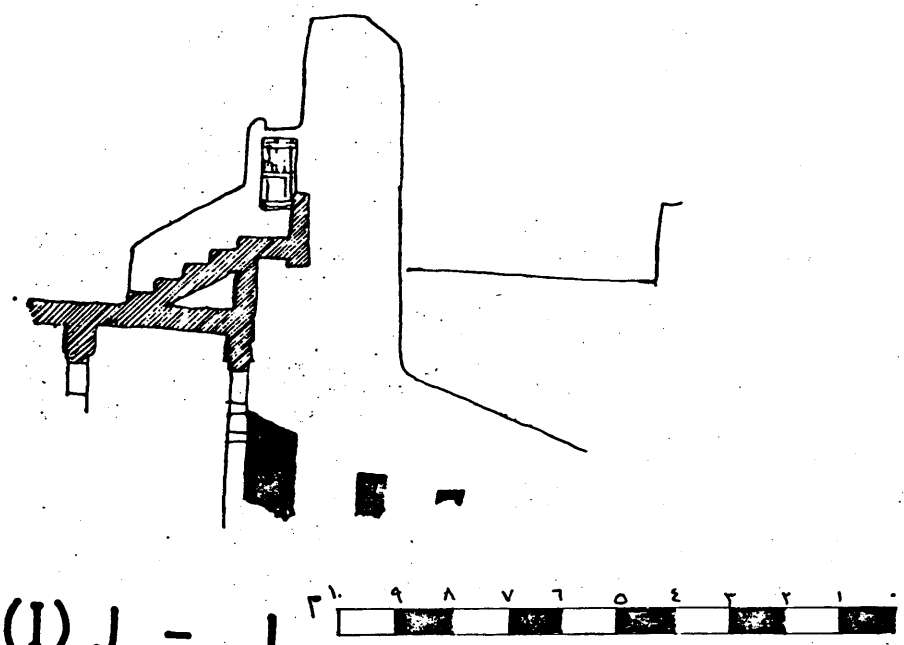

شكل رقم (٦ - ط)
رفـــع هنـــكة

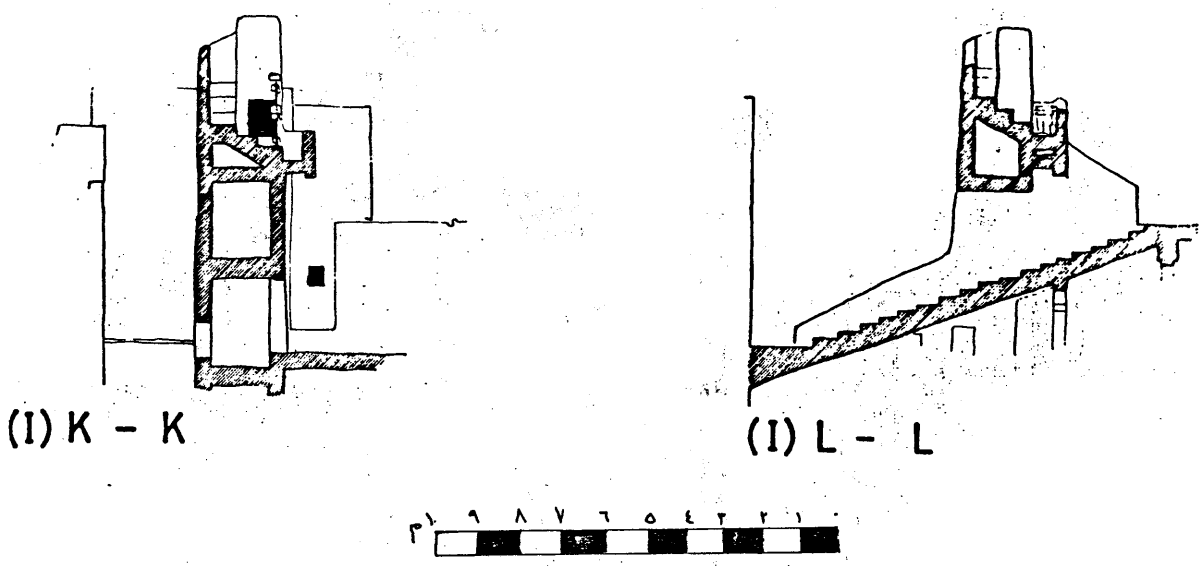

(I) MOSCHEE

(I) المسجـــد

شكل رقم (٦ - ى)
رفـــع هنـــكة

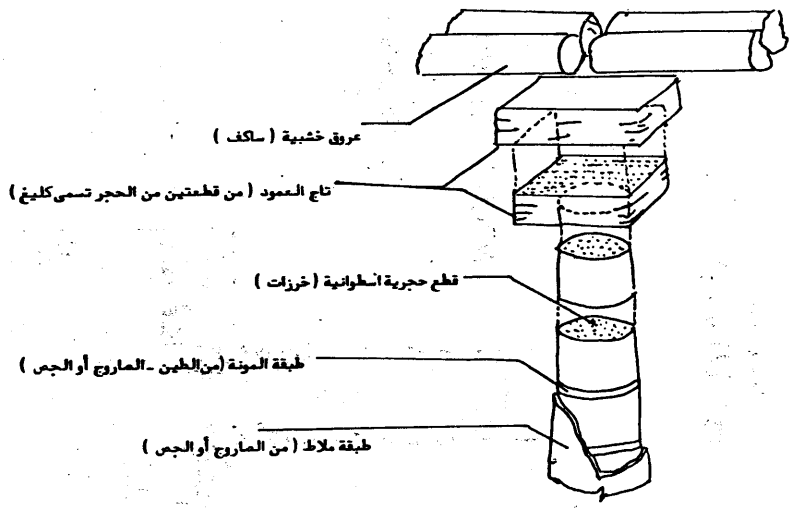

شكل رقم (٧)
يبين أجزاء العمود وكيفية إرتكاز السقف عليه
بتصرف – رفع هنكة

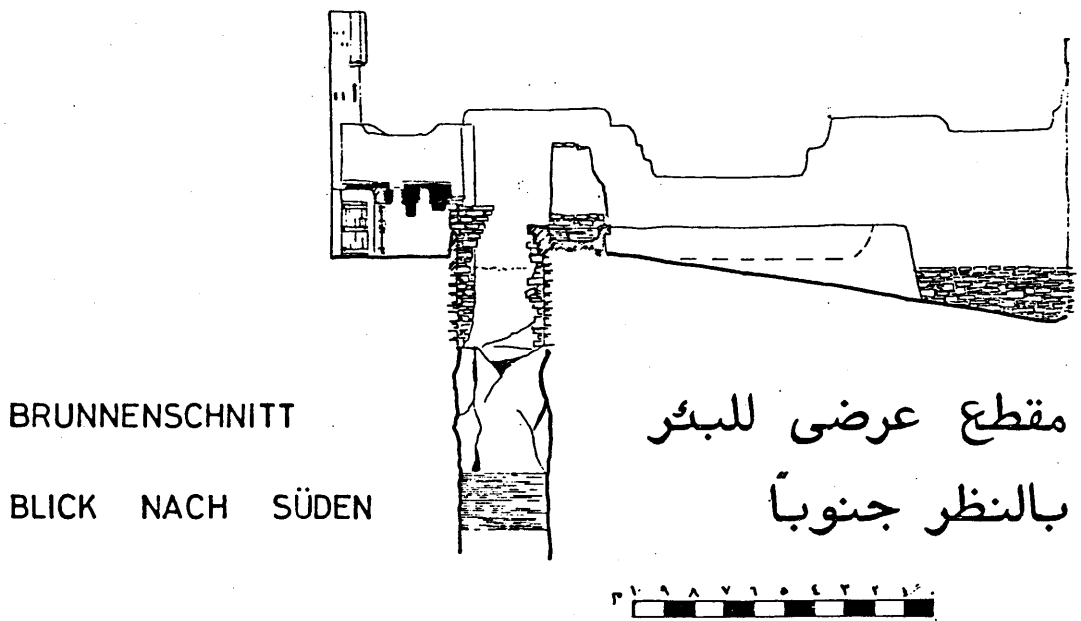

شكل رقم (٨ - أ)
رفع هنكة

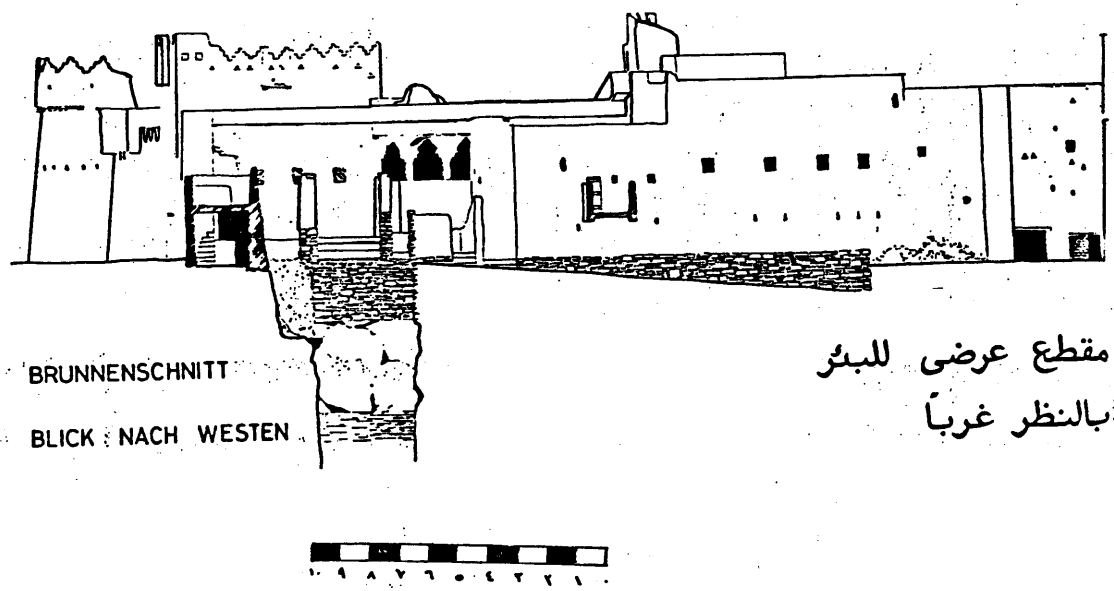

شكل رقم (٨ - ب)
رفع هنكة

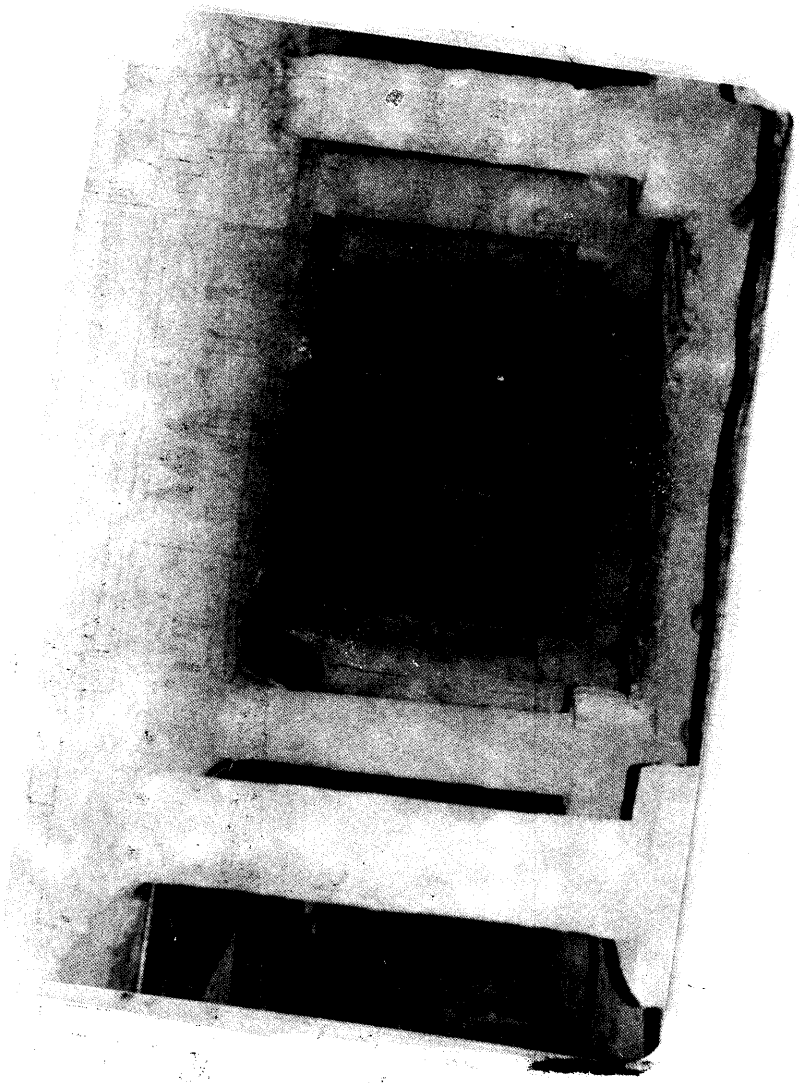

لوحة رقم (١)
تبين جانبا من بلاطات خلوة المسجد

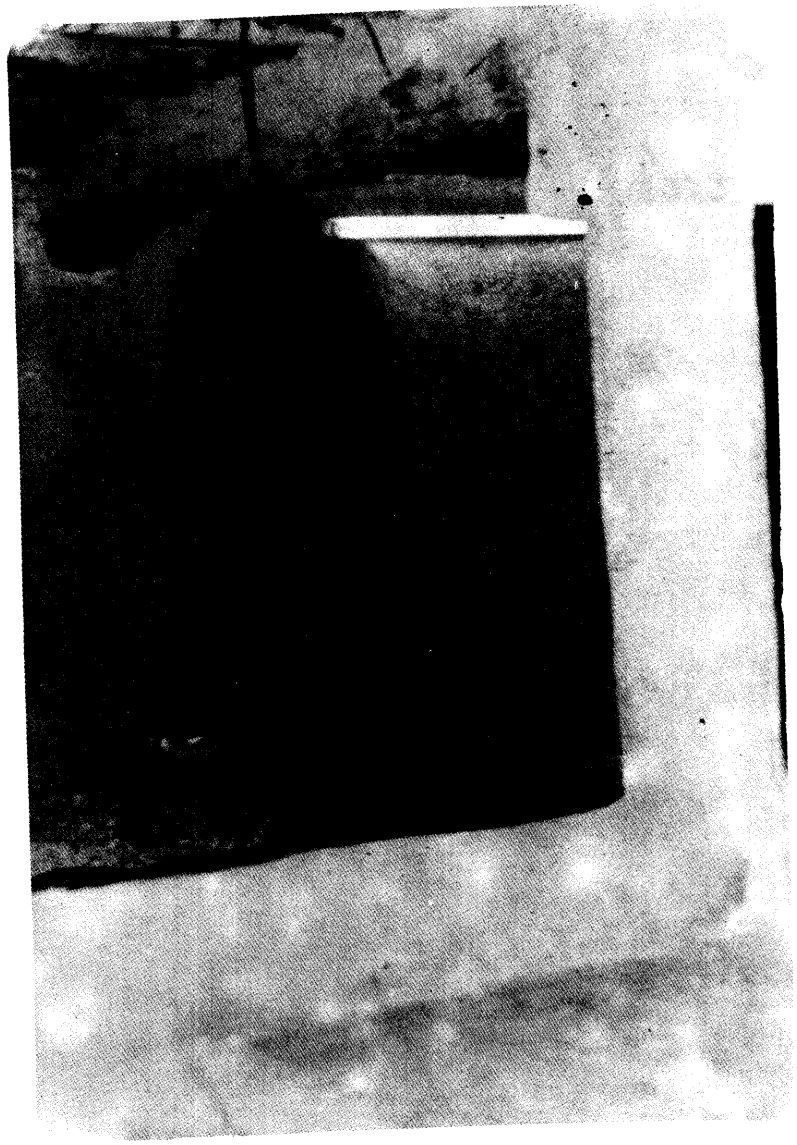

لوحة رقم (٢)
تبين محراب الخلوة والمساند بين صف الأعمدة فى البلاطة الأولى

لوحة رقم (٣)
تبين فتحة فى سقف الخلوة من الفتحات التى تجاور الأعمدة

لوحة رقم (٤)
تبين جانب من باكيات الطابق العلوى (الرواق) بالمسجد

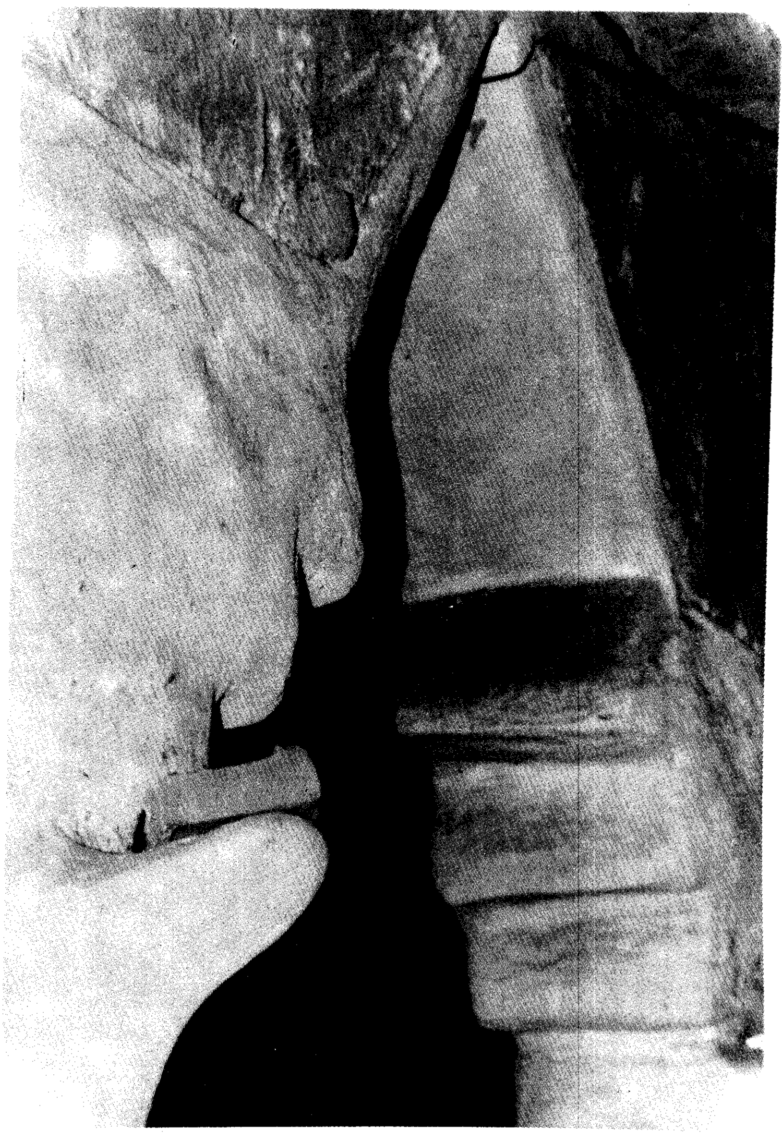

لوحة رقم (٥)
تبين رفوف حمل المصحف الشريف بأعلى الأعمدة

لوحة رقم (٦)
تبين زخرف حمل المصحف الشريف بجدار القبلة

لوحة رقم (٧)
تبين محراب الطابق العلوى (الرواق)

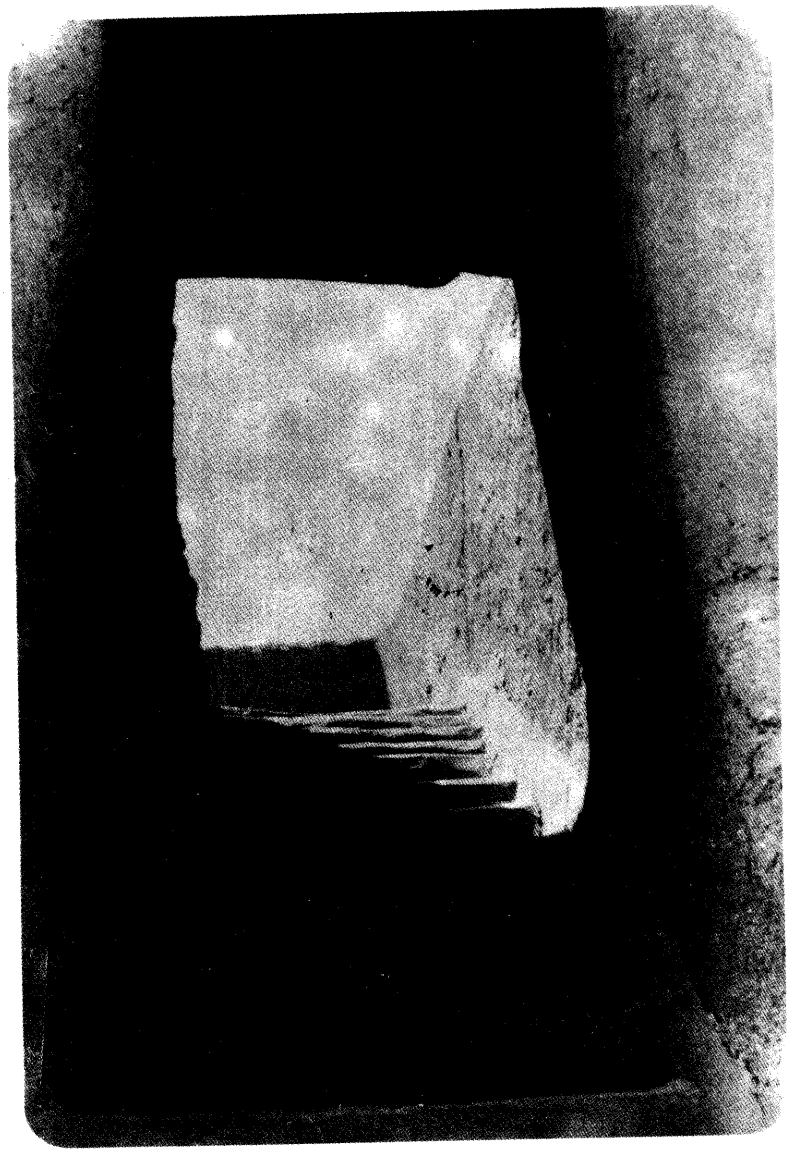

لوحة رقم (٨)
تبين السلم الشمالى المؤدى الى سطح المسجد

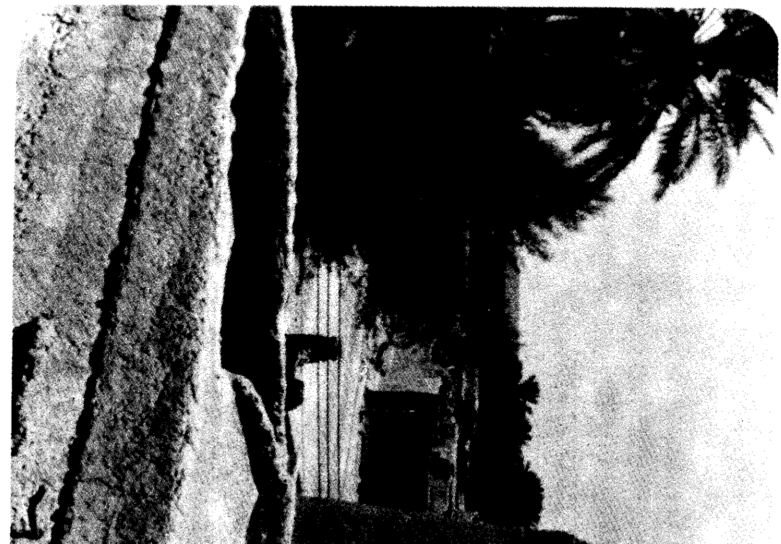

لوحة رقم (٩)
تبين سطح المسجد

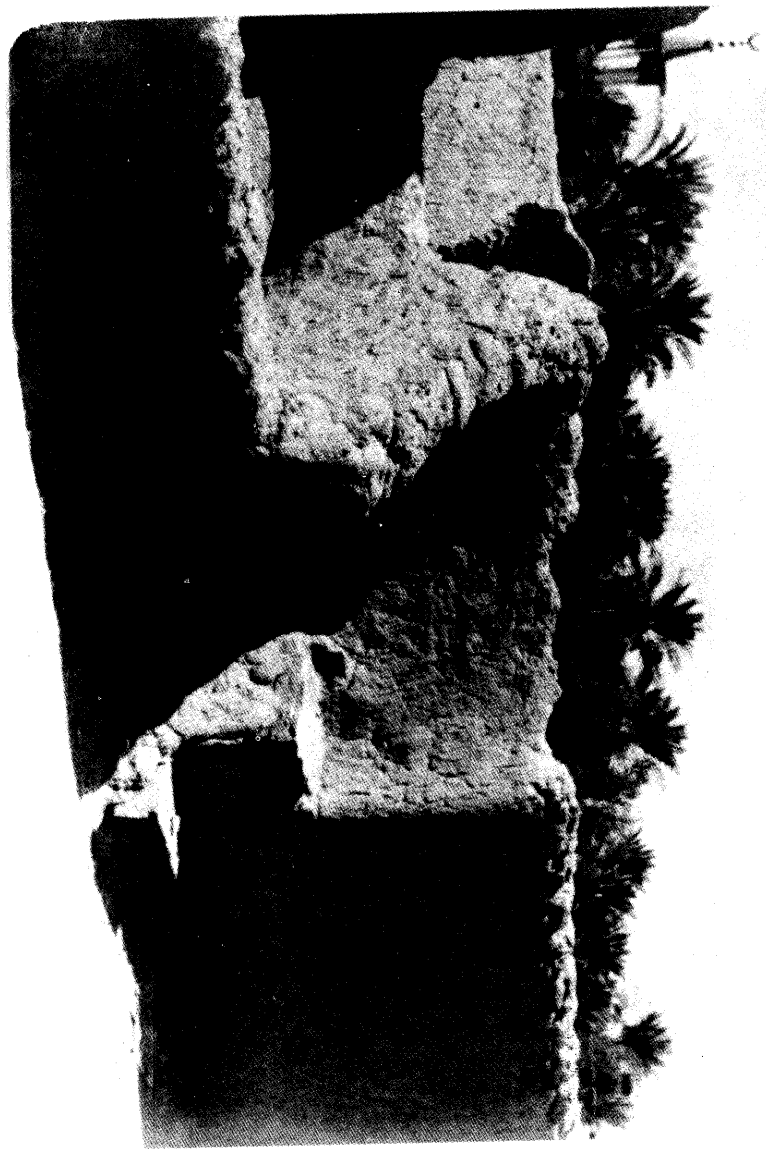

لوحة رقم (١٠)
تبين محراب سطح المسجد

لوحة رقم (١١)
تبين مئذنة مسجد سدوس

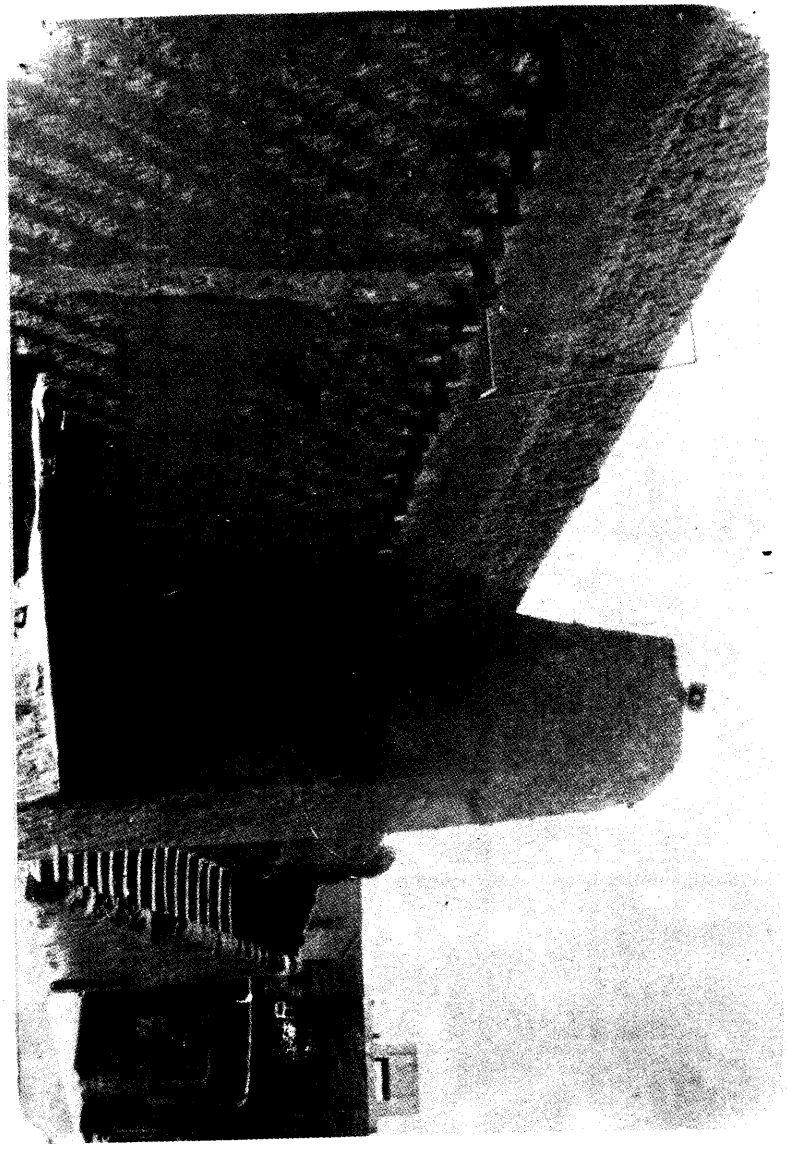

لوحة رقم (١٢)
تبين مسجد القريعية من الخارج وسقفته التى تعلو الحراب

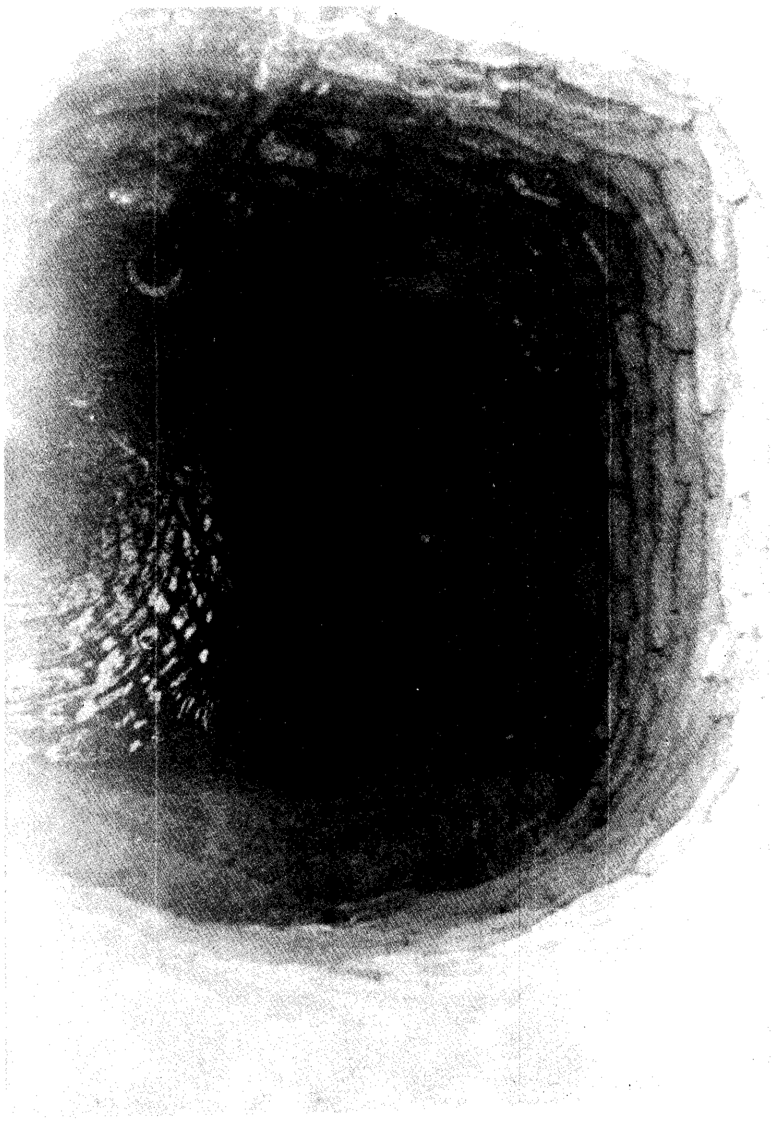

لوحة رقم (١٢)
تبين بئر سدوس الذي يقع داخل الأسوار

لوحة رقم (١٤)
تبين بناء الزرانيق التى على جانب البئر وإرتباطها بطى البئر الحجرى

لوحة رقم (١٥)
تبين « المروش » المجاور للبئر